البحوث

ولاية الحسا تحت حكم آل بغدادي ١٠١٥-١٠٨١هـ/ ١٦٠٦-١٦٧٠م

د. عبداللطيف بن ناصر الحميدان

يستعرض البحث الاضطرابات التي عمّت الحسا والقطيف والتي ترافقت مع ضعف نفوذ الدولة العثمانية منذ مطلع القرن ١١هـ/١٧م مما هيأ الأجواء لظهور علي باشا البغدادي الذي حكم الحسا والقطيف بصورة مستقلة مما أجبر إستانبول على الاعتراف بشرعيته. وقد حقق علي باشا وأولاده حضورًا في الساحة السياسية فأقاموا علاقات مع البرتغاليين لمواجهة الصفويين أعداء الطرفين. كما أقاموا علاقات وثيقة مع أشراف مكة ومنعوا أئمة اليمن من مد نفوذهم إلى أراضيهم. إلا أنهم في علاقاتهم مع حاكم البصرة حسين باشا إفراسياب الذي كان له طموح في بلادهم وتحالفه مع الشيخ براك زعيم بني خالد قد انتهى أمرهم إلى سقوط حكمهم، بعد أن امتد إلى ما يُقارب ستة عقود.

Al-Hasa and Qatif Under Al-Baghdadi Regime 1606-1670

Dr. Abdulatif bin nasser Alhumaidan

The paper reviews the unrest that prevailed in Al-Hasa and Qatif in the wake of the weakening of the Ottoman Empire since the beginning of the 17th century. This unrest has created a chance for the emergence of Ali Pasha Al-Baghdadi, who independently ruled Al-Hasa and Qatif. He forced Istanbul to recognize his legitimacy. Ali Pasha and his sons achieved a presence in the political arena and established relations with the Portuguese to confront the Safavids, the enemies of both sides. They also established close relations with the nobles of Mecca and prevented the imams of Yemen from extending their supremacy to their lands. However, they had relations with the ruler of Basra, Husayn Pasha Afrasiab, who had ambitions in their country and their alliance with Sheikh Barak, the leader of Banu Khalid. These relations led to their downfall, after ruling for nearly six decades.

(قدم للنشر في ١٤٤١/٤/٢٧هـ، وقبل للنشر في ١٤٤١/٦/٢٥هـ)

قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

Department of History - College of Arts - King Saud University

aalhomaidan@ksu.edu.sa

احتل العثمانيون في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢١-١٥٦٦م) كلاً من القطيف سنة (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) ثم الحسا سنة (٩٥٩هـ/١٥٥٢م) من أيدي العرب، مثلما احتلوا البصرة قبلها لتغدو الحسا والقطيف ونواحيهما ولاية عثمانية خالصة يحكمها وال يتم تعيينه مباشرة من إستانبول ويكون مدعومًا ماليًا وعسكريًا من ولاية البصرة عند الضرورة من أجل مواجهة البرتغاليين في الخليج فضلاً عن مواجهة العرب في بواديها وأسباب أخرى[١]. استمرت قبضة العثمانيين قوية في الحسا قرابة النصف قرن لترتخي بعدها قبضتهم لتدخل الحسا في مرحلة جديدة تميزت بالتبعية الاسمية لإستانبول.

إن هذه المرحلة الجديدة لم تحظ حتى الآن بالدراسة، لذا نأمل أن يسد هذا البحث النقص الذي يعتريها. هذا وإن مندفيلا (Mandavelle) الذي هو أول من كتب بحثًا مكثفًا موثقًا عن ولاية الحسا في الفترة الأولى لحكم العثمانيين لها قد عد تولي علي باشا وولده محمد باشا امتدادًا لحكم العثمانيين المباشر[٢]. وتابعه في ذلك الدكتور عبدالكريم

(١) انظر كتابنا الموسوم "تاريخ البصرة والأحساء" سوف ينشر قريبًا ضمن إصدارات دارة الملك عبدالعزيز.

(٢) انظر:

Mandaville, John, "The Ottoman Province of Al-Haśa in The Sixteenth and Seventeenth Century", *Journal of the American Oriental Society*. Vol.90, No. 3, (1970); Appendix, 513.

ويلاحظ أن مندفيلا قد أدخل بينهما اسم الوالي إبراهيم الذي تشير الوثائق إليه أنه كان والي الحسا في السابق دون أن تحدد تاريخًا لذلك.

بن عبدالله الوهبي[٣]، بل إن الأخير عدَّ فترة حكم براك شيخ بني خالد ويحيى آغا وعمر الحلبي أتباع حسين باشا إفراسياب ما هو إلا امتداد للحكم العثماني المباشر.

أحوال الحسا قبيل ظهور علي البغدادي:

من الثابت أن الدولة العثمانية مرت خلال عمرها الطويل بأطوار وتحولات كثيرة، حيث أخذت بعد عهد السلطان سليمان القانوني في الضعف بشكل واضح وبخاصة في أثناء عهود السلاطين الثلاثة مراد الثالث ومحمد الثالث وأحمد الأول (٩٨٢-١٠٢٦هـ/١٥٧٤-١٦١٧م) وقد تميزت عهود السلاطين الثلاثة بقيام التمردات العسكرية والعصيان والخروج على سلطة المركز، وقد عرفت تلك التمردات بعصيان الجلاليين[٤]. لقد عبر المؤرخ العثماني مصطفى سلانيكي عن ذلك بقوله: "لم تنفذ الرعايا أوامر السلطان فضلاً عن أن العساكر أخذوا في التمرد على ممثلي السلطان في الولايات ولم يبدوا احترامًا لهم"[٥].

(٣) الوهبي، **العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية "إيالة الحسا"** (الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص٢٥٧-٢٦٧.

(٤) الجلاليون نسبة لشاه ولي الدين بن الشيخ جلال الذي ثار على الدولة العثمانية سنة ٩٢٥هـ/١٥١٩م. وعن السلاطين الثلاثة، راجع: إبراهيم بجوي، **تاريخ بجوي**، ترجمة ناصر عبدالرحيم (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥م)، الجزء الثاني.

(5) Selaniki Mustafa Efendi, *Tarih-I Selniki*, (Istanbul, 1989), p.260-265.

وسيشار إليه بتاريخ سلانيكي، وكذلك راجع خليل إينالجك، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، ترجمة محمد الأرناؤوط (بيروت: المدار الإسلامي، ٢٠٠٣م)، يراجع الفصل الثالث.

إن ما يعنينا هو تفحص أحوال الولايات البعيدة عن مركز السلطة في إستانبول كبغداد والبصرة والحسا وتأثر كل منها عن الآخر في أثناء هذه الفترة.

إن الحكم الصادر من إستانبول سنة (٩٩٢هـ/١٥٨٤م) إلى والي الحسا أحمد باشا يفيد أن ظلمًا قد وقع على الأهالي وحجاج بيت الله الحرام[٦]. كما أن الحكم الصادر أيضًا سنة (٩٩٨هـ/ ديسمبر ١٥٨٩م) إلى الوزير سنان باشا والي بغداد الذي يتضمن حثه على ضرورة إرسال العساكر إلى الحسا لمحاربة العناصر المتمردة التي وصفت بالمخربة[٧]. أما الأمر الصادر من الباب العالي إلى أحمد باشا والي البصرة في (١٠ جمادى الأولى سنة ٩٩٩هـ/ ٥ مارس ١٥٩١م) أي بُعيد سابقه ببضعة أشهر تقريبًا يشير إلى أن مصدر الاختلال في الحسا هم العرب الذين شعارهم الفساد، وأنه قد تم الإيعاز لوالي بغداد بسرعة إرسال قوة عسكرية وأن يقوم والي البصرة بإيصالها إلى الحسا ليعيدوا الاستقرار والنظام هناك[٨]. كما طلب منه أيضًا الإيعاز للشيخ مهنا مع قبيلته آل قشعم[٩]

(٦) الأرشيف العثماني، دفتر المهمة رقم ٥٣ ص٣١٥ حكم ٨٩٦.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) الأرشيف العثماني، دفتر المهمة رقم ٨٧ حكم ٢٢٥.
(٩) آل قشعم: من غزية تقيم بمحاذاة شاطئ وسط الفرات وتمد سيطرتها على الرماحية والنجف والطريق ما بين البصرة وبغداد وحلب وبالعكس، ولقد قدمت طاعتها للعثمانيين عندما تم للسلطان سليمان القانوني احتلال بغداد (٩٤١هـ/١٥٣٤م)، وللتعرف على هذه القبيلة منذ بدايتها راجع بحثنا "صلة القبائل في العصر العباسي المتأخر"، **مجلة العرب**، ج١٠-١٢، ١٤٣٨هـ، ص٦١٤-٦٣٤، ٨٤٥-٨٥٨.

للذهاب إلى الحسا لمحاربة بني خالد مع إرضائه كما كان في السابق[١٠]. ومن الجهة الأخرى نجد أن الباب العالي لجأ، وكعادته، إلى استرضاء الشيخ سعدون شيخ بني خالد. ففي السنة نفسها أرسلت له رسالة تدعوه إلى طاعة السلطان، وعدم مخالفة رضاه، بدعوى تعرضه لمظالم كثيرة، وما عليه سوى الاتصال شخصيًّا بأحمد باشا والي الحسا الجديد لإبلاغه عن تلك التجاوزات والمظالم التي لحقت به وهو الذي سوف يقوم برفعها[١١].

إن الوثائق السابقة لا تكشف لنا بالتفصيل كل ما حدث في الحسا، في حين أن الخطاب الموجه إلى عثمان باشا والي البصرة في أوائل ذي القعدة سنة ١٠٠١هـ (أوائل أغسطس ١٥٩٣هـ) يكشف بالتفصيل ما حدث ليوسف باشا والي الحسا السابق الذي لم يبق تحت سلطته سوى سنجق صفوي والقطيف، أما بقية سناجق ولاية الحسا فهي تحت سيطرة بني خالد. ولقد أدى ذلك إلى نقص كبير في إيرادات الولاية من (٤٥) يوك أقجه إلى (٣٠) يوك أقجه، واليوك يساوي (١٠٠,٠٠٠) قرش، وهي لا تكفي لمواجب الجند خلال سنة قادمة. وبالرغم من أن أحد زعماء العصاة البارزين قد لقي حتفه مع خمسة عشرة من أقرانه فإنه يلزم إرسال العساكر من بغداد للقضاء على ما تبقى من العرب العصاة. كما تشير الوثيقة أيضًا إلى أن بيري باشا والي الحسا السابق قد اعتُقل من قبل العرب المتمردين،

(١٠) الأرشيف العثماني، ذيل المهمة رقم ٤ ص٢١٦.
(١١) الأرشيف العثماني، ذيل المهمة رقم ٤ ص١١٢ حكم ٤٧٠.

فيقتضي ضبط أملاك الدولة التي كانت تحت تصرفه من أجل مواجب الجند، وأن إدارة مالية الحسا "الدفتر داريه" يجب ضمها إلى دفتر داريه البصرة. أما طائفة القول "أي عسكر بغداد" الذي كانوا قد جلبوا منها وكذلك العسكر الذين جلبوا من البصرة فيجب إعادتهم إلى تَيْنِك الولايتين عندما تنتفي الحاجة إلى بقائهم[١٢].

على أي حال إن عساكر الدولة الذين كان يُعول عليهم في الملمات الصعبة قد غدوا مصدر متاعب للدولة نفسها، وعلى وجه الخصوص في الولايات البعيدة عن المركز. فالمؤرخ مصطفى سلانيكي يذكر أنه وصلت الأخبار إلى إستانبول في أواخر ربيع الأول سنة ١٠٠٠هـ (يناير ١٥٩٢م) أن قول الحدود - أي الجند المرابطون عند الحدود - في كل من بغداد والبصرة والحسا قد تمردوا وهاجموا قادتهم وضربوا أعوانهم وسجنوا أمراءهم في القلعة وحصروهم فيها. ويعزى سبب ذلك إلى أن رؤسائهم لم يدفعوا لهم علوفاتهم[١٣]. ولتدارك الأمر، فإن الحكم الموجه إلى علي باشا بن الوند بك في المحرم سنة ١٠٠٠هـ (أواخر سبتمبر ١٥٩٢م)[١٤] يعكس مدى الأخطار التي أخذت تواجه الدولة في ولايات

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) **تاريخ سلانيكي**، ص٢٠٠-٢٠١. والعلوفة: تعني الرواتب التي تعطى للجنود النظاميين كل ثلاثة أشهر بعضها نقدًا وبعضها عينًا.

(١٤) علي باشا بن الوند بك: أشهر الولاة الذين حكموا في الحسا والبصرة وبغداد لعدة مرات، وكان له أتباع كثر من طائفة السكبان واللوند، وقد توفي عام ١٠٠٧هـ/١٥٩٩م وهو والٍ لبغداد مخلفًا ثروة طائلة. راجع: محمد ثريا، **سجل عثماني** (دار الطباعة العامرة، ١٣١١هـ)، ٥٠٤/٣.

بغداد والبصرة والحسا على حد سواء، وذلك نتيجة لهجمات سيد مبارك[١٥] على الحدود بين بغداد والبصرة وهو ما أدى إلى إلحاق أضرار كثيرة بالسكان والتجار، إضافة إلى احتشاد قوات عباس الصفوي عند إقليم همدان وتهديدها لبغداد، وهو ما يقتضي تشديد الحراسة على البصرة وإمداد والي الحسا بالجند[١٦].

إن خطورة الأوضاع في تلك الولايات العثمانية هو الذي دفع إستانبول إلى دعوة علي باشا بن الوند بك إلى الانتقال من ولاية بغداد إلى ولاية البصرة في سلخ ذي القعدة سنة ١٠٠١هـ (أغسطس ١٥٩٣م) بعد أن ثار الجند على واليها خادم عثمان باشا وقتلوا أمراء السناجق المرافقين له وفرقوا الرجال الذين تحت إمرتهم، إذ لم يبق معه في القلعة سوى خمسة أو عشرة رجال، وعليه فقد طُلب من علي باشا أن يتولى البصرة شخصيًّا وأن يتحرى سبب مقتل الأمراء وغيرهم في البصرة وإلقاء القبض على من قام بذلك وتوقيع العقاب على من يستحقونه[١٧]. أما الجند الذين تجمعوا في الحسا مع قادتهم والقادمون من بغداد فلم يكونوا منضبطين ومطيعين لولاتهم، فكان التصادم بين الطرفين متوقعًا. فالحكم الموجه إلى أحمد باشا أمير أمراء الحسا سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٥م يشير

(١٥) سيد مبارك: هو ابن سيد طالب بن بدران المشعشعي، استولى على إمارة الحويزة بعد أن قتل قريبه زنبور بن سيد سجاد وذلك سنة ٩٩٩هـ/١٥٩١م، وقد خضع للشاه عباس الصفوي الذي استخدمه لتحقيق مآربه ضد العثمانيين بالعراق.

(١٦) الأرشيف العثماني، دفتر المهمة رقم (٧٣) ص٢١٠، حكم ٤٩٨.

(١٧) الأرشيف العثماني، دفتر المهمة رقم (٧١) ص٢٤٧ حكم ٤٦٥.

إلى مقتل عبدالباقي والي الحسا[١٨] من قِبَل الجند، وعليه تم الطلب من والي البصرة والدفتر دار فيها كليهما بالسرعة في إرسال المدافع والبنادق والذخائر إلى الحسا ودفع رواتب الجند الذين أرسلوا لحفظ الأمن فيها[١٩].

وفي هذا السياق يبدو أن الجهود التي بذلت بعد مقتل الوالي عبدالباقي قد تضمنها الأمر الموجه إلى علي محمد باشا محافظ بغداد في ٣ جمادى الأولى سنة ١٠١١هـ (٢٠ أكتوبر ١٦٠٢م) الذي يتضمن ضرورة إرسال أربعمئة من عسكر الروم الشجعان من بغداد وتزويدهم بالتجهيزات لهدم القلاع الأربعة في الحسا التي استولى عليها أعراب بني خالد وتسويتها بالأرض، مع حسن التعامل مع طوائف العسكر وإعطائهم علوفاتهم في أوقاتها[٢٠]. إلا أنه يتضح من الأمر الموجه إلى بهرام باشا أمير أمراء الحسا في تاريخ مقارب لما سبق أن طائفة العسكر غدوا مصدر خوف لدى السلطة إذ تمت توصية بهرام باشا بحسن التعاون مع طائفة القول عند وصولهم إلى الولاية من أجل استرداد القلاع من طائفة الأعراب الأشقياء وأن اتفاقكم مع طائفة العسكر سوف يحقق الرضا لدى السلطان[٢١].

(١٨) الأرشيف العثماني، دفتر المهمة رقم ٧٣ ص٢١٠ حكم ٤٨٨، ولم نجد له ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(١٩) الأرشيف العثماني، دفتر المهمة رقم ٧٣، ص٤٠٦، حكم ٨٩١ وأيضًا الحكم ٨٩٢.

(٢٠) الأرشيف العثماني، دفتر المهمة ٧٠، تصنيف كبجي، ص٣٣٦.

(٢١) المصدر نفسه، ولم نجد له ترجمه في المصادر التي بين أيدينا.

إن وفاة بهرام باشا المفاجئة إضافة إلى تمرد العساكر في بغداد بقيادة أحمد الطويل[٢٢] قد أثار مخاوف في إستانبول من احتمال تولي أحد قادة طوائف العسكر السلطة في الولاية البعيدة عن المركز؛ لذا سارعت إلى إرسال عمر باشا ليكون واليًا على الحسا الذي يبدو أنه لم يستطع أن يمكث بها، إذ نُقل إلى البصرة ليكون واليًا عليها، إلا أنه قد سبق أن عُين عليها حسن باشا بن علي باشا الوند بك. لذا أُمر عمر باشا بالعودة إلى إستانبول في غرة صفر ١٠١٣هـ (أول يوليو ١٦٠٤م) بعد أن أُبلغ بأن الصدر الأعظم علي باشا الذي أعطاه ولاية البصرة قد توفي وعليه الالتحاق بالوزير الأعظم الجديد سنان باشا الذي يتولى القيادة في الجهة الشرقية[٢٣].

أولاً: قيام حكم علي باشا البغدادي في الحسا

يظهر مما تقدم أن الظروف الموضوعية كانت مهيئة لظهور حاكم مستبد في الحسا، إذ إن أحداث الماضي والحاضر تشير إلى أنه كلما انتشرت الفوضى والاضطراب في بلد ما لسبب أو لآخر تطلع السكان إلى قامة طويلة تتميز بالصلابة وكثرة الأتباع لأجل إقرار الأمن والنظام وإنهاء الفوضى، وهذا ما حدث في الحسا خلال الفترة المبحوثه آنفًا، ومن كان رئيسًا لجند بغداد هو علي البغدادي الذي التفت حوله

(٢٢) وحول تمرد أحمد الطويل راجع: ملا رضوان، **فتوحات بغداد**، مخطوط جامعة أكسفورد بودليان، ص٦٥.

(٢٣) الأرشيف العثماني، تصنيف كبجي، دفتر رقم ٧٠، ص٦٥.

مختلف طوائف السكان وارتضوه قائدًا لهم. فالمؤرخ أحمد غرابي البغدادي (ت ١١٠٢هـ/١٦٩٠م) يقول إن أهل الحسا بعد وفاة حاكمهم الذي لم يذكر اسمه، نصبوا المدعو علي البغدادي ليحكم الولاية وضبط الأمن والقضاء على الفوضى فيها، وكتبوا محضرًا بذلك وأرسلوه إلى السلطان، شرحوا فيه ما حصل في الولاية، وقالوا إن الأمر لا يستقيم إلا بهذا[٢٤]. ويبدو أن إستانبول استجابت للطلب سريعًا، من دون أن يحدد الغرابي تاريخًا لذلك. ومن المرجح جدًّا أن القطيف والحسا اللتين غدوتا مهددتين من الشاه عباس الصفوي، بعد أن تم احتلال جزيرة البحرين بشكل مباغت من أتباع الشاه المذكور عام ١٠١٠هـ/١٦٠٢م[٢٥].

وفي السياق نفسه يذكر ضامن بن شدقم إن علي باشا عندما ملك الحسا سنة ١٠٠٥هـ (١٥٩٦-١٥٩٧م) أعزه أهلها وأجلوه، إلا أنه بعد مدة غدر بأهل القطيف وحبس أعيانهم وأهان كبراءهم وقتل من رؤسائهم خمسة وستين سيدًا، والباقون فروا فغرق في البحر جماعة في حين أن رئيس أهل القطيف سيد عبدالحميد اتجه إلى الشاه عباس بن محمد خدا بنده والتمس منه عسكرًا ليأخذ القطيف. إن التاريخ

(٢٤) **تاريخ الغرابي**، مخطوطه مكتبة المتحف العراقي، رقم ٩٠٨٤، ص١٣٤-١٣٥.

(25) Eskander Monishe, *History of Shah Abbas Trans*, Roger Savory (Colorado, 1978), p.803-805.

كذلك جلال الدين محمد نجم يزدي، **تاريخ عباسي**، المتحف البريطاني، الورقة ٩٨-٩٩.

الذي أورده ابن شدقم يبدو أنه قد أصابه بعض التصحيف والتحريف، إذ يقتضي أن يكون سنة ١٠١٥هـ/١٦٠٦م[٢٦]. فهو يوافق بذلك الأحداث التي ذكرت أن بعض رجالات القطيف قد أبدوا تعاطفًا مع العجم، ربما بعد استيلائهم على البحرين وهو ما عرضهم لغضب علي باشا وعقابه الشديد بعد أن تولى الحكم في الحسا في التاريخ المذكور أو بُعيد ذلك بقليل.

بقي أن نعلق على قول أحمد الغرابي الذي أطلق صفة البغدادي على علي باشا، إذ قد يكون أحد قادة طوائف الجند الذين كانوا قد استوطنوا بغداد منذ فترة ليست بالقصيرة، ثم جيء بهم إلى الحسا على مجموعات، كما مر بنا، فامتزجوا بسكانها حتى غدوا جزءًا من نسيجها الاجتماعي. كما يحتمل أن يكون علي باشا له صلة قوية بالوالي المشهور علي باشا بن الوند بك - وهو ما سبقت ترجمته - الذي تنقل بين ولايات العراق المختلفة مدة طويلة وله أتباع كثر من الجند وهو ما سبق أن أشرنا إليه[٢٧].

أيًّا ما كان الأمر، إن علي باشا البغدادي حين استولى على الحكم في الحسا والقطيف كان يدرك تمام الإدراك ضرورة اعتراف السلطان به ليكتسب الشرعية لحكمه إضافة إلى

(٢٦) **تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار**، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، (طهران: مركز نشر التراث المخطوط، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) مجلد ٢، القسم ٢، ص١٩٦.

(٢٧) **تاريخ سلانيكي**، ٣١٧/١ و٣٢٨، ٧١٩، ٤٢١؛ محمد ثريا، **سجل عثماني**، ٥٠٤/٣.

تعزيز مكانته بين سكانها. ومن الجهة الأخرى فإن الدولة العثمانية كانت تدرك مدى الضرر الذي قد يلحق بسمعتها ومكانتها إذا ما استولى الشاه عباس على الحسا والقطيف البعيدتين عن مركز الدولة في الوقت الذي لا تستطيع تقديم المساعدة الضرورية لها، فكان لا بد إذن من المحافظة على الصلة بينهما ولو من طريق إبداء صور العواطف. ومما يدلل على ذلك أن علي باشا حين طلب أن ترسل إليه أسلحة وذخائر بادرت إستانبول بالاستجابة لذلك سريعًا، إذ أوعزت في شعبان ١٠١٨هـ (أوائل ديسمبر ١٦٠٩م) إلى الوزير محمود باشا بن يوسف جفالة باشا والي بغداد الجديد الذي قضى على عصيان آل الطويل في بغداد بضرورة تلبية طلبه[٢٨]. بل إن الحكم الصادر قُبيل ذلك بقليل - أي في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠١٨هـ (١١ سبتمبر ١٦٠٩م) - يصف علي باشا أنه السردار - أي القائد العام - في جهات الحسا[٢٩]، وهي أعلى رتبة عسكرية تمنحها الدولة. وهذا يؤكد أنه كان قد تولى الولاية فعلاً قبل التاريخ المذكور، فالرحالة الإنكليزي جوزيف سلبانكي (Salbanke) الذي زار القطيف قادمًا من البصرة بحرًا سنة ١٦٠٩هـ/١٠١٨م عبر عن ذلك بقوله: "إن القطيف تحكم من قبل تركي متمرد على سلطان الترك"[٣٠].

على أية حال، فرض علي باشا حضوره على إستانبول من

(٢٨) الأرشيف العثماني، دفتر المهمة رقم ٨٧ ص١٧٠ حكم ٢٢٩.
(٢٩) المصدر نفسه، ص٢٣ حكم ١٦.
(30) Samuel Purchas, *His Pilgrims, The Voyage of Jesef Salbanke to the India* (Clasgo, MCMV), p.87.

خلال تلك الظروف الحرجة التي كانت تمر بها كل من الدولة والحسا أيضًا. ففي الحكم الموجه إلى الوزير مصطفى باشا محافظ بغداد في سنة ١٠٢٤هـ/١٦١٥م يوصف فيها علي باشا بأنه "رئيس أهل الحسا"[٣١]. وأن آخر خطاب وجهته إستانبول إليه كان في ١٧ شعبان سنة ١٠٤٤هـ الموافق أوائل سنة ١٦٣٥م، أي بعد ثلاثين سنة من حكمه إذ خاطبته بـ "أمير الأمراء" والسردار لسائر غزاة المسلمين علي دام إقباله"[٣٢]. إن ألقاب التفخيم التي أضفاها السلطان على علي باشا يبدو أنها لطمأنته بعد أن تم تعيين ولده محمد باشا على الحسا[٣٣] بأنهم جميعًا تحت رعايته وموضع اعتزازه وتقديره.

على أي حال، فإن التاريخ الذي ورد أعلاه يمثل نهاية ولاية علي باشا للحسا وبداية ولاية ولده محمد باشا، ولعل الوقفية التي أوقفها محمد باشا على مسجد بناه في الهفوف، وهو تاريخ ذي القعدة في السنة الثامنة والخمسين بعد الألف (نهاية سنة ١٦٤٨م) لتؤكد أن محمد باشا كان واليًا للحسا. وقد شهد على توقيعها عدد من شيوخ الدين والقبائل وقادة العساكر ورجال الإدارة كالدفتردار والقاضي، فضلاً عن أخيه عمر بك بن علي باشا[٣٤]. إن تولي محمد باشا ولاية الحسا والقطيف لم يشهد تغييرًا كبيرًا عما كان يتبعه والده من

(٣١) الأرشيف العثماني، دفتر المهمة رقم ٨١ حكم ١٢٧.
(٣٢) ذيل دفاتر المهمة، رقم ٩، ص١٥٤ حكم ٤٦٤.
(٣٣) المصدر نفسه. انظر الملحق أيضًا.
(٣٤) راجع كتاب عبدالكريم بن عبدالله الوهبي، **العثمانيون وشبه الجزيرة العربية**، الملحق رقم (٤).

سياسات تجاه التحديات إذ كان أساسها الولاء للعثمانيين والمحافظة على أمن بلاده، سواء كان في الخليج العربي أو جواره الإقليمي كالبصرة واليمن والحجاز.

ثانيًا: علاقة ولاة الحسا بالبرتغاليين[٣٥]

بديهيًّا أن تمثل العلاقات والصلات بين الكيانات السياسية المتجاورة جزءًا مهمًا من تاريخها بما تعكسه من تنافر أحيانًا وتقارب أحيانًا أخرى. وحيث إن الموقع الجيوسياسي للحسا والقطيف قد فرض عليهما أن تكون علاقتهما بجوارهما سواء برًّا وبحرًا إيجابية على العموم، ومن هنا كان لا بد من تسليط الضوء عليها. إن أول ما يحسن التطرق إليه هو العلاقة مع البرتغاليين والصفويين، فاحتلال الفرس الصفويين لجزيرة البحرين سنة ١٠١٠هـ/١٦٠٢م مثَّل تحديًا للبرتغاليين الذين كانت الجزيرة تتبع مملكة هرموز التي هي تحت حمايتهم[٣٦]، وهو ما أثار غضبهم واستياءهم. فضلاً عن إثارة مخاوف العثمانيين أيضًا من أن تمتد أطماع الصفويين أعدائهم التاريخيين إلى الحسا والقطيف.

إن الشاه عباس الصفوي (٩٩٥-١٠٣٨هـ/١٠٨٧-١٦٢٩م) قبل أن يحتل جزيرة البحرين، كان يحرض السيد مبارك خان

---

(٣٥) قام الأستاذ أحمد بوشرب المتخصص في التاريخ البرتغالي والأستاذ بجامعة الرباط في المغرب بترجمة النصوص البرتغالية، وفعل مثل ذلك الأستاذ محمد برو المصري الجنسية الذي كان يعمل مترجمًا في السفارة البرتغالية في الرياض.

(36) Willem Floor, *The Persian Gulf* (United of States, 2006), p.202.

حاكم الحويزة على إلحاق الضرر بالعثمانيين وذلك بمهاجمة ولاية البصرة في الوقت الذي يُظهر الشاه عباس - كما يقول أنطوني شيرلي (Anthony Sherley) - أن لا علاقة له بذلك[٣٧]، كما أن الشاه عباس بعد احتلال البحرين وضغوط البرتغاليين عليه لاسترجاعها، ربما أوعز إلى مبارك خان بن سيد مطلب لإغراء البرتغاليين بالحصول على مكاسب كبيرة في البصرة إذا ما قدموا له مساعدة لاحتلالها.

فالوثائق البرتغالية تشير إلى انشغال القادة البرتغاليين بين عامي ١٦٠٥-١٦٠٨م بدراسة العرض الذي قدمه سيد مبارك وعن مدى صدقيته في تنفيذ وعوده تلك[٣٨]. في الوقت الذي كان البرتغاليون يعملون لاستعادة البحرين من الشاه بالطرق الدبلوماسية إلى أن أدركوا فشل ذلك فانصرفوا للتفكير في استرجاعها بالقوة[٣٩]. إلا أن الشاه عباس قطع عليهم طريق تلك الآمال حينما احتل جزيرة هرموز وطردهم منها سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م ليستقروا على سواحل عمان[٤٠].

(37) *Relation of Travel Into Persia* (Amsterdam: 1974), p.104-105.

(38) R Antonio de Bulhao Pat'o, *Documentos da India*, (Lisboa, 1886), Tomo, I, p.11-16, 80-120, Tomo, II, p.96-98.

(وثائق برتغالية مرسلة من الهند).

(39) Op. Cit.

(٤٠) **مذكرات روي فريرا أندرادا، يوم سقوط هرموز**، ترجمة عيسى أمين (البحرين: ١٩٩٦م)؛ كذلك راجع:

Boxer, C.R.tr. *Commentaries of Ruy Freyre de Adnrada* (London: 1930).

لقد تزايدت قوة الشاه عباس وطموحه حيث استولى على بغداد سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م، وأعقبها إرسال قوة عسكرية لاحتلال البصرة، إلا أن صمود حاكمها الجديد إفراسياب واستنجاده بالبرتغاليين الذين سارعوا بأسطولهم إلى نجدته سنة ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م ليحبطوا ما تم تخطيهم إليه[٤١].

أيًّا ما كان الأمر، فإن علي باشا حاكم الحسا والقطيف رأى أن يحذو حذوه إفراسياب حاكم البصرة بالاستعانة بالبرتغاليين المعادين للصفويين، فاتصل بقائدهم الكبير، روي فريرا (Rue Freira) المشهور بقسوته الشديدة. فكتاب قباطنة الهند (Dois Capitaos da India) يتضمن الحديث عن تلك العلاقة التي نشأت بينهما، ففي ٣٠ يوليو ١٦٢٧م (١٧ من ذي الحجة ١٠٣٦هـ) وجه فريرا تعليماته إلى كونسالو دا سيلفيرا (Concalo da Silveira) رئيس القباطنة بضرورة التوجه إلى القطيف بسرعة بعدما أظهر الباشا هناك استعداده لتحمل نفقات أسطولنا، كما فعل باشا البصرة، من أجل غزو البحرين. فإذا كان الباشا غير موجود فيها فأرسل إلى الحسا من يبلغه بوصولك، وحالما يأتي الباشا برجاله فليتم نقلهم إلى البحرين. وحينما يعلم الشاه وخان شيراز إمام قلي بذلك ويرسلوا النجدات العسكرية، فقف في وجوههم بالتنسيق

(٤١) عبد علي بن ناصر الحويزي، السيرة المرضية في شرح الفرضية، أو تاريخ الإمارة الأفراسيابية، تحقيق محمد الخال (**مجلة المجمع العلمي العراقي**)، ص١٧٤، ١٣٦-١٩٧؛ **رحلة ديلا فاليه إلى العراق**، ترجمة بطرس حداد (بيروت: ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ)، ص١٢٤-١٢٩.

مع الباشا[٤٢]. كما كتب أيضًا روي فريرا أيضًا في أوائل أغسطس ١٦٢٧م إلى كونسالو طلب منه المرابطة بأسطوله المكون من اثنتي عشرة سفينة وبعض الطرادات في تاروت وحراستها جيدًا؛ لأن الباشا سيكون غدًا عندكم ويكون الأسطول تحت تصرفه حيث يتوجه إلى البحرين ومعه الكثير من جنده الذين تحملهم (٢٠٠) طرادة، وهذا سوف يغيظ الشاه وخان شيراز معًا إذ سنهدد بلادهم إلى أن يخضعوا لنا[٤٣].

أما بخصوص بنود الاتفاقية التي تمت بين البرتغاليين وعلى باشا، فيتحدث عنها فريرا بقوله: "عندما طلب مني الباشا القدوم إلى القطيف لمساعدته ضد الفرس مقابل التزامه بدفع جميع النفقات لتلك المساعدة، رأيت أن في ذلك خدمة لنا خصوصًا أنها لن تكلفنا مالاً، لذا قمت بتكليف كونسالو دا سيلفيرا بقيادة تلك القوة التي تتكون من خمسة سفن من نوع فوستا (Fustas)[٤٤]، مع طرادات حربية لترابط في القطيف، ولتقوم بحرق القرى والطرادات التي على ساحل قطر مما يسبب خسائر كبيرة لأتباع ملك الفرس من البحارة. ولقد امتدح باشا الحسا تلك المساعدة التي قدمناها له"[٤٥]. كما أن فريرا امتدح علي باشا أيضًا

(42) Luciano Cordeira, *Dois Capitaos da India* (Lisboa: 1893), p.110-111.

(٤٣) المصدر نفسه.

(٤٤) الفوستا: نوع من السفن الطويلة التي تحمل شراعًا وتسير بالمجاديف ويطلق عليها: بسطة.

(45) Cordeira, Op. Cit., p. 116.

في رسالة طويلة إلى كونسالو إذ يقول: "لقد أظهر الباشا صداقته وإخلاصه لمليكنا فشن الحرب على الفرس ودمر ما أمكن تدميره في البحرين، لذا عليك الاستمرار في مساعدته، ليصبح قويًّا بأسطولنا ليلحق أضرارًا كبيرة بأتباع الشاه. علمًا بأن الباشا أظهر استعداده لدفع النفقات المطلوبة، كما فعل إفراسياب باشا في البصرة. وعليه:

أولاً: أن تتحرك في شهر سبتمبر إلى قطر برفقة الباشا وتدمر الطرادات التي لا تحمل أوراق مرور - قراطيس (Cartaze)[٤٦] وتقتل من فيها.

ثانيًا: سيدفع علي باشا (١٢) لاري - طويلة الحسا -[٤٧] لكل جندي شهريًّا، ويعطي أيضًا (١٥) باردو (Pradao)[٤٨] عن الثلاثة أشهر. أما القباطنه فيدفع لهم (١٠٠) باردو في حين يدفع لكبير القباطنه (٣٠٠) باردو إضافة للمؤن.

ثالثًا: يبلغ الباشا عند التحرك إلى أي جهة كانت وأن لا

---

(٤٦) القراطيس: كلمة عربية الأصل دخلت في اللغة البرتغالية لتعني ورقة مرور أو جوازًا.

(٤٧) لاري أو لارين: عملة تصك من الفضة الخالصة واشتهر استعمالها في الخليج، وتنسب لمملكة لار، أما التي تضرب في الحسا فتسمى - طويلة الحسا - وعلى أي حال فقد شاع استعمالها في المحيط الهندي. راجع حولها معجم:
Henry Yule and A. C. Burnell, *Hobson-Jobson* (London, Second Edithion, 1985), p.150.

(٤٨) باردو: عملة برتغالية ضربت في الهند وهي تساوي (٣٠٠) ريالاً، والريال قطعة فضية برتغالية، راجع:
J. Gerson DA Cunha, *Contributions to The Study of Indo-Portuguese Numismatics*, (New Delhi: 1995), p.32.

يُسمح لجنودنا بالنزول إلى اليابسة لأي سبب كان بما فيها النزول إلى القطيف والجزر التي أمام رأس تنورة ومنعهم من إلحاق الضرر بأهلها، بل أن يعاملوهم بلطف ويدفعوا لهم المبلغ كاملاً عند شراء أي سلعة من الصيادين. كما أن للباشا الحق في إصدار القراطيس للتجار".

ويذكر الأب بازيل (Basil) في تقريره أوائل ١٦٢٨م أنه في صيف تلك السنة قام البرتغاليون بالهجوم على البحرين التي لا تزال بيد الشاه وأحرقوا أشجار النخيل ودمروا كثيرًا من السفن، إلا أنهم لم ينجحوا في احتلالها لمناعتها ويقال إنهم في الخريف القادم سيعودون لمهاجمتها[٤٩].

أيًّا ما كان الأمر، إن المحاولات لاسترداد البحرين قد توقفت بعد اغتيال شاهبندر أو شابندر القطيف سنة ١٦٢٧م الذي عبر عنه فلور (Floor) بشيخ القطيف من دون أن يذكر اسمه[٥٠]. يضاف إلى ذلك أن البرتغاليين نجحوا في إرغام الفرس على التصالح معهم بُعيد وفاة الشاه عباس بإعطائهم موقعًا على ساحل فارس هو بندر كونك (Kong) سنة ١٠٣٩هـ/١٦٣٠م حيث أقاموا لهم مركزًا تجاريًّا مع حقهم في الحصول على نصف واردات الجمارك فيها وعدم

(49) Anonymous, *A chronicle of Carmelites in Persia* 2 Vol. (London: 1939), p.212.

(50) W. Floor, Op. Cit., p.347.

ومن الجدير بالذكر أن الشاهبندر يعني رئيس الميناء أو البندر الذي يتولى تفحص البضائع فيه وتقدير الرسوم عليها، وكان قديمًا في الخليج العربي يطلق عليه ملك التجار، ثم تطورت الكلمة لتستعمل بمعنى القنصل أو الوكيل التجاري لدولة ما.

التعرض للبحرين[٥١]. هذا مع العلم أن القبطان الكبير - أي فريرا - قد توفي في ذلك العام.

تغير في المشهد السياسي وتجدد التحالف:

إن المشهد السياسي في الخليج قد أخذ في التغير وبخاصة مع ضعف الصفويين بعد وفاة الشاه عباس ودخولهم في أزمة[٥٢]. مع تحسن علاقتهم بالبرتغاليين إلى حد كبير، لقد أثار الوضع في الخليج مخاوف باشا الحسا الجديد محمد باشا بن علي باشا الذي تولى الحكم سنة ١٠٤٤هـ/١٦٣٥م. وبخاصة على تجارة بلاده في الخليج فرأى ضرورة مفاتحة البرتغاليين لتجديد الاتفاق معهم. ففي محاضر مجلس الدولة البرتغالية في الهند (Assentos da Conselho of Astado) نجد وثيقة تاريخها ١٦/ أغسطس ١٦٣٧م (١٠٤٧هـ) تشير إلى وصول مبعوثين من باشا القطيف وهما يحملان رسالة إلى مجلس الدولة في غوا (Coa) بالهند حيث يذكر الباشا في رسالته الصداقة التي كانت قائمة بين روي فريرا ووالده. "وأن محمد آغا وداكوستا اللذين بعثتُهما سوف أوافق على كل ما تتفقون عليه، وأطلب فيها بهذه المناسبة تزويدنا بمدفعين للدفاع عن بلادي ضد هجمات القزلباش - الصفويين - الذين في البحرين نظرًا لتعرضهم لرجالنا باستمرار، كما أرجو تعيين داكوستا وكيلاً لكم في القطيف (Feitor) لإجادته العربية وشخصيته الموثوق بها، هذا وقد أرسلنا لكم هدية

(51) Wilem Floor, *The Persian*, p.252.
(52) Rudi Matthee, *Persia In Crisis Savavid Decline and the Fall of Isfahan* (London, I. B. Tauris. 2012).

هـي عبـارة عـن أربعـة خيـول أصيلـة مختلفـة الألـوان"[٥٣].

أما النقاط التي تم الاتفاق بينهما عليها فهي:

أولاً: عـدم التعـرض للسـفن التجاريـة التي تأتي إلى القطيف أو رأسـية فـي رأس تنـورة مـن قبـل القباطنـة سـواء كانـت تحمـل القراطيس أم لا.

ثانيًا: أن لا تزيـد أقيـام القراطيـس التـي تعطـي للسـفن على خمسـة لاري - طويلـة الحسـا - واثنيـن صـدي (Sadi) وتمنـح الصلاحيـة بذلـك لوكيلكـم المقيـم فـي القطيـف[٥٤].

ثالثًا: يُعطـى لوكيلكـم مقابـل خدماتـه حصـان صغيـر (فلـو) كل ثلاث سـنوات. كما يعطى خمسـة لاري في اليوم إضافة إلى مسـكن مـع المـاء والحطـب. أمـا القباطنـة فيعطـى لهـم حصـان أصيل.

رابعًا: يُعطـى للباشـا (٢٠) ألـف رمـح خيـزران طويـل للدفـاع عـن أراضيـه فـي الداخـل، وضـد العـرب الذيـن هـم فـي حـرب دائمـة معـه.

خامسًا: يُعطـى لرجـال الباشـا قراطيـس مجانًـا للذهـاب بطراداتهـم للبحـث عـن اللؤلـؤ فضـلاً عـن ذلـك تعطـى للباشـا قراطيـس مـن أجـل إبحـار سـفنه ذات الحمولـة (٣٠٠) كنديـل (Candil)[٥٥] إلـى السـند ويدفـع عـن ذلـك رسـوم الجمـارك.

(53) Pandurонge, *(bastore- Goa 1634-1649), Documents 53*, p.178-182.

(٥٤) كنديـل (Candil) يسـاوي أربعـة قناطيـر أو ٢٥٨ غرامًـا. وصـدي (Sadi) ١٥ ريـالاً برتغاليًـا.

(٥٥) محاضر مجلس الدولة، المصدر السابق.

كما يدفع للوكيل رسوم (١٥٠٠) كيس من الرز المجلوب من البصرة.

(حرر هذا الاتفاق في القطيف في أكتوبر ١٦٣٦م).

يظهر مما تقدم أن محمد باشا بن علي باشا قد سعى إلى تجديد التحالف مع البرتغاليين بشكل أوثق وفق المستجدات التي تواجهه. فطلبه المدافع كان لمواجهة اعتداءات الفرس في البحرين، وكذلك الرماح لمواجهة عرب بني خالد في الداخل، فضلاً عن المحافظة على تجارته مع الهند.

ثالثًا: حكام الحسا والبصرة بين التنافس والتصادم

إن قيام حكومة شبه مستقلة في الحسا والقطيف واضطرار إستنابول إلى الاعتراف بشرعيتها أعقبه قيام حكومة شبه مستقلة في البصرة أيضًا على يد إفراسياب، فكانت الأسرتان الحاكمتان المرتبطتان بخيط رفيع مع العثمانيين تقومان بإرسال الأموال إلى إستانبول بين حين وآخر لإبعادها عن التدخل في شؤونهم الداخلية من جهة إضافة إلى حمايتهم من الصفويين من جهة أخرى، فكان عليهما دعم العثمانيين كما حدث في حصار السلطان مراد الرابع لبغداد وتقديم الدعم العسكري له[٥٦].

إن تولي حسين باشا بن علي باشا بن إفراسياب الحكم

(٥٦) ملا رضوان، **فتوحات بغداد**، مخطوطة جامعة أكسفورد في بودليان؛ كذلك صورة خطوط همايون، مكتبة جامعة إستانبول،
MS Turkce, 116 Volio 200b
كذلك انظر الملحق.

في البصرة قد نتج عنه تغيرات في الصِلات بين الأسرتين، فضعف البرتغاليين في الخليج وبروز القوة البحرية العمانية التي استطاعت طردهم من بلادها سنة ١٦٥٠م، كما أن التنافس بين أفراد الأسرة الحاكمة في البصرة حول الثروة والسلطة، أي بين حسين باشا بن علي باشا وعميه فتحي بك وأحمد بك وتعاطف محمد باشا بن علي باشا حاكم الحسا معهما وتدخله لصالحهما مما أثار حفيظة حسين باشا. وحينما هرب فتحي بك وأخوه أحمد ولجآ إلى القطيف سنة ١٠٦٤هـ/١٦٥٣م استقبلهما محمد باشا في الحسا وسهل لهما اللجوء إلى الدولة العثمانية لتقديم شكواهما التي لقيت استجابة من إستانبول(٥٧). يقول المؤرخ اليماني المطهر بن محمد الجرموزي: "إن صاحب البصرة كان قد حدث بينه وبين عمه فتحي بك خلاف وخصام فدخل فتحي بك على الإمام المتوكل على الله إسماعيل سنة إحدى وستين وألف للهجرة (١٦٥١م) يريد الذهاب إلى ديار الروم لمنازعة حسين باشا، فأعطاه مالاً لا يضبطه الواصفون"(٥٨).

على أي حال، فإن تواريخ الأحداث تأخذ في الاختلاف،

(٥٧) فتح الله بن علوان الكعبي، **زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر**، تصحيح خلف شوقي أمين الداودي (بغداد: مطبعة الفرات، ط٢، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م)، ص١٩-٢٠.

(٥٨) الجرموزي، **تحفة الأسماع والأبصار بما في السير المتوكلية من غرائب الأخبار**، تحقيق عبدالحكيم بن عبدالمجيد الهجري (صنعاء: دار الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص١٢٢-١٢٣.

فالقعبي ونعيما يذكران أن الأخوين ذهبا إلى بغداد وأقنعا واليها مرتضى باشا لمساعدتهما، فسار مرتضى باشا نحو البصرة على رأس قوة عسكرية لتنصيبهما عوضًا عن حسين باشا، فكان أن قتلهما مرتضى باشا واستولى على أموالهما وأموال أعيان البصرة فضلاً عن أموال حسين باشا الذي ولى هاربًا، وهذا أدى إلى انتفاضة شعبية واسعة لدى أهل البصرة، وهو ما اضطر مرتضى باشا إلى الهروب إلى بغداد مذمومًا مدحورًا. وعاد حسين باشا على أثرها إلى البصرة سنة ١٠٦٥هـ/١٦٥٤م من مكان هروبه ليتسلم السلطة فيها في الوقت الذي اكتفت فيه الدولة بعزل مرتضى باشا عن ولاية بغداد[٥٩].

رواية الرحالة جان دي تيفينو عن الأحداث:

إن الرحال الفرنسي دي تيفينو (De Thevenot) الذي كان قد زار البصرة سنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٤م وجمع معلومات قيمة عما وقع فيها، فتحدث عن مجملها، حيث قال: "قبل أربع عشرة سنة (١٦٥٤م) ذهب عمي حسين باشا إلى القسطنطينية بعد خلافهما الشديد مع ابن أخيهما، وطلبا من السلطان ولاية البصرة لأحدهما وولاية الحسا والقطيف للآخر، فلبى السلطان طلبهما وأمر مرتضى باشا والي بغداد بتنفيذ ذلك[٦٠]. ثم يفصل دي تيفينو بعدها عن تلك

(٥٩) الكعبي، مصدر سابق، كذلك راجع: مصطفى نعيما، **تاريخ نعيما** (الآستانة: ط٢، ١٢٨٠)، ٦/١٠٨-١١٤.

(٦٠) **رحلات جان دي تيفينو في الأناضول والعراق والخليج العربي** (١٦٦٤-١٦٦٥) ترجمة أنيس عبدالخالق محمود (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠١٣م)، ص١٤٩-١٥١.

الأحداث بقوله: بعد أن احتل حسين باشا القطيف قبل اثنتي عشرة سنة ١٦٥٣م – فكر في احتلال الحسا أيضًا (١٦٦٥م) – فأرسل إليها شيخًا عربيًا مع كثير من العرب، ففر منها واليها بعد وصولهم فدخلوا المدينة وقاموا بنهبها، إلا أن شيخ العرب استهزأ من والي البصرة قائلاً: "إنه لم يحتل المدينة من أجله وإنما لمنفعته الشخصية، واستدعى لهذا الغرض والي الحسا وقبض منه مبلغًا من المال وسلم له المدينة"[٦١]. يستطرد الرحالة الفرنسي فيقول: "في شهر نوفمبر من السنة الماضية ١٦٦٣م (ربيع الأول ١٠٧٤هـ) أرسل والي البصرة قوة قوامها ما بين خمسة إلى ستة آلاف رجل نقلوا بالسفن مع قطع المدفعية، بل ربما العدد يتجاوز أضعاف ذلك. وعند نزولهم في بندر القطيف وزحفهم إلى نحو الحسا هرب واليها وتمت السيطرة عليها من دون قتال، فعرض شكواه إلى السلطان في إستانبول الذي أمر ولاة حلب وديار بكر والموصل وبغداد بإعادته إلى ولايته في الحسا وطرد والي البصرة منها. وما إن علم حسين باشا بالأمر حتى سارع لإبلاغ الباب العالي باستعداده لدفع الضرائب التي كان يتم استلامها سابقًا". ويعتقد الرحالة أن السلطان لو لم يعقد الصلح مع إمبراطور النمسا، فإن حسين باشا سيستمر في التوسع، ولن يكتفي بأقل من السيطرة على مسقط[٦٢].

(٦١) المصدر نفسه، ص١٥٤.
(٦٢) المصدر نفسه، ص١٥٤-١٥٥.

يبدو مما ورد سابقًا أن حسين باشا كان على جانب من القوة العسكرية والثقة في النفس فضلاً عن طموحه السياسي الذي جعله يطلع إلى الهيمنة على تجارة الخليج ومنافسة العمانيين الذين سبق لهم أن طردوا البرتغاليون من سواحلهم، وبروزهم كقوة بحرية تعمل للهيمنة على مقدرات الخليج العربي.

روايات مختلفة:

تتباين روايات المؤرخين برغم كثرتهم بخصوص تواريخ الأحداث وشخوصها وعلاقة حسين باشا بالحسا وردود فعل العثمانيين حول ذلك. ففتح اللّه الكعبي المعاصر لحسين باشا إفراسياب كان قد ذكر "أن حسين باشا وجه عسكرًا على الحسا فافتتحها سنة ١٠٧٣هـ/١٦٦٣م"[٦٣]. في حين أن المؤرخ البغدادي نظمي زاده مرتضى أفندي يذكر أن الجيوش التي سيرت ضد حسين باشا كانت بقيادة إبراهيم باشا الطويل والي بغداد سنة ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٥م لينتهي الأمر بالصلح[٦٤]. أما رواية المؤرخ اليماني محسن زيد الحسين بن القاسم المكنى أبو طالب فيذكر أن الواقعة حدثت سنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٤م بين حسين باشا حاكم البصرة وعيسى باشا بن علي باشا، أخي محمد

(٦٣) المصدر السابق، ص٢٠-٢١؛ كذلك راجع سلحدار فندقلي محمد آغا، **سلحدار تاريخي** (إستانبول: مطبعة الدولة، ١٩٢٨م)، ١/١٦-١٧.

(٦٤) **كلشن خلفا**، ترجمة موسى كاظم نورس (بغداد: ١٩٧١م)، ص٢٤٨-٢٤٩.

باشا الذي طرد من القطيف وذهب إلى مكة وعرض شكواه على السلطان، فتدارك حسين باشا الأمر باستدعاء عيسى باشا وإرضائه وإعادته إلى ولايته ملحوظًا بعنايته. وحين أقبلت تلك الجيوش على البصرة خادع حسين باشا قادتها وأفهمهم أن عيسى باشا قد طابت نفسه وعاد إلى ملكه وهددهم بحرب طويلة، فعصوا أمر السلطان وعادوا إلى بلدانهم وكانوا جمعًا وافرًا قدر بأربعين ألفًا. وبذلك ثبّت حسين باشا حكمه في البصرة إلى سنة ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م[٦٥].

إصرار حسين باشا على أطماعه وما آلت إليه:

لم يتوقف حسين باشا بن علي باشا عن أطماعه في التوسع بضم الحسا والقطيف إلى ملكه كهدف رئيس بعد أن حصل على دعم القبائل. فأرسل عسكرًا إلى الحسا مع براك شيخ بني خالد الذي استطاع انتزاعها من حاكمها محمد باشا بن علي باشا دون حرب أو قتال، لكن الشيخ براك ما لبث بعد مدة أن قلب ظهر المجن لصاحبه حسين باشا وعصاه، فما كان من حسين باشا إلا أن أرسل ضده قوة كبيرة بعدها تتألف من أولاد الروم بقيادة يحيى آغا أحد أتباعه مع جمع غفير من العرب لا سيما آل قشعم بقيادة شيخهم كنعان، التقى بهم الشيخ براك خارج قلعة الحسا حيث لقي

(٦٥) **تاريخ اليمن، عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول**، تحقيق عبدالله محمد الحبشي (صنعاء: ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص٩٠، ٩٣-٩٥.

هزيمة وقتل جميع عسكره التفاكة - حملة البنادق - الذين كانوا معه، ولتقع القلعة بأيدي يحيى آغا بمن كان فيها حيث استقل بها[٦٦].

وقد انبرى الشاعر الأحسائي معتوق بن شهاب الموسوي لمدح حسين باشا لفتح حصن الهفوف، نقتبس بعض أبياتها:

يا خالديون خنتم عهد سيدكم
هلا وفيتم وخفتم بأس صولته
يحيى دعاكم لمولاكم لتقتبسوا
من نوره واصطليتم نار جذوته
عارضتموه بسحر تخيلكم
فكان موسى ويحيى مثل حيته
براك ربك ما براك
ولا حظيت في بركات من عطيته
كفرت في ربك الثاني وخنت به
يكفيك ما فيك من حرمان نعمته[٦٧]

على أي حال، إن خلاصة الأحداث التي وقعت جعلت ياسين بن حمزة الشهابي ينظمها شعرًا فسميت (منظومة الشهابي) ابتدأها بقيام حسين باشا باحتلال القطيف بالاعتماد على الشيخ براك زعيم بني خالد فأرسل أحد أتباعه واسمه

(٦٦) العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين** (بغداد: ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، ٥/٧٦-٧٧.

(٦٧) **ديوان معتوق بن شهاب الموسوي** (الإسكندرية: ١٢٩٠هـ)، ص١٧٣-١٧٦.

سلمان ليقود تلك القوة بمساندة براك، فطلب محمد باشا الحسا، وسلم البلاد لسلمان، وقد ذهب بعدها إلى بيت الله الحرام في الوقت الذي قام براك بانتزاع السلاح من أصحاب حسين باشا وطردهم منها. فأرسل ضده قوه أخرى بقيادة يحيى أحد رجالاته الذي نجح في إخراج براك من الحسا وصار يحيى حاكمًا عليها ليغدو هدف حسين باشا الآن عُمان.

يستمر ياسين الشهابي الذي كان شاهدًا على تلك الأحداث في سرد ما قد حدث لمحمد باشا الذي ذهب إلى الشريف زيد أمير مكة (١٠٤١-١٠٧٧هـ/١٦٣١-١٦٦٦م) ليوصله إلى السلطان، فما إن علم حسين باشا حتى ثار غضبه، واستدعى يحيى من الحسا وبعث أحد رجاله ويدعى عمر الحليبي. لم يمض وقت قصير حتى كلفت الدولة إبراهيم باشا والي بغداد بقيادة الجيش ضد حسين باشا في البصرة حيث فرض حصارًا على البصرة انتهى بالصلح الذي تضمن أن يعيد حسين باشا الحكم لمحمد باشا. وخلال هذه الفترة انتهز الشيخ براك الفرصة فطرد عمر الحليبي من الحسا. وعندما جاء عيسى باشا أخو محمد باشا، جاء براك إلى عيسى باشا الذي كان قد استقر في القطيف وأخرجه منها[٦٨].

وهنا يذكر المؤرخ اليماني عبدالله بن علي الوزير "أنه في سنة ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م وصلت هدايا من عيسى باشا الحسا

(٦٨) ياسين بن حمزة آل شهاب البصري، **منظومة الشهابي**، مخطوط في مكتبة المتحف العراقي، رقم ٧/١١١٣٩، كذلك انظر: عباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين**، ٥/٧٤-٧٦.

إلى إمام اليمن"[٦٩]. والذي فيما يبدو كان يحاول يائسًا الاستنجاد به ضد بني خالد بعد أن استولوا على بلاده، وهذا لم يحدث.

لقد أرخ أحد أبناء الحسا تاريخ استيلاء بني خالد على الحسا بقوله "طغى الماء" حيث يقول:

رأيت البدو آل حميد لما
تولوا أحدثوا في الخط ظلما
أتى تاريخهم لما تولوا
كفانا الله شرهم "طغى الماء"

وبحساب الجمل يكون التاريخ ١٠٨١هـ/١٦٧٠م[٧٠].

ومن الملفت للنظر أن العصامي مؤرخ مكة ذكر أنه "حصل أمطار وسيول عظيمة أغرقت نحو خمسمئة نفس داخل المسجد الحرام وفوق مقام إبراهيم ومقام المالكي والحنبلي وعلى قفل باب الكعبة، وسقطت كثير من الدورة وذلك في ١٢ ذي الحجة سنة ١٠٩١هـ (٥ ديسمبر ١٦٨٠م) فأرخ بعضهم تلك السنة بقوله طغى الماء"[٧١]. فيكون الفرق بين القراءتين بحساب الجمل عشر سنوات، وهو يثير التساؤل عن إمكانية حدوث تصحيف في التاريخ الذي أورده العصامي.

---

(٦٩) **تاريخ اليمن المسمى طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى**، تحقيق: محمد عبدالرحيم حازم (صنعاء: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٢٦-٦١.

(٧٠) محمد عبدالله آل عبدالقادر، **تحفة المستفيد في تاريخ الحسا في القديم والجديد** (الرياض: ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص١٢٣.

(٧١) عبدالملك بن حسين بن عبدالملك، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي** (القاهرة: المكتبة السلفية، د. ت)، ٤/٥٣١.

على أي حال دخلت الحسا والقطيف في حقبة تاريخية جديدة تحت حكم بني خالد.

رابعًا: علاقة حكام الحسا والقطيف بأئمة اليمن

قامت في اليمن خلال فترة البحث حركة مقاومة وتحرر من الحكم العثماني، واشتد أوارها منذ عهد الإمام القاسم (ت ١٠٢٩هـ/١٦٢٠م) وأولاده من بعده إلى أن استطاعوا أخيرًا إخراج العثمانيين من بلادهم سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م[٧٢]. وكان طبيعيًّا أن يراقب حكام الحسا، الموالين للعثمانيين، ما كان يقع في اليمن وتصاعد قوة أئمتها وهو ما أثار قلقهم ومخاوفهم، ولا سيما أن اليمن والحسا ترتبطان بعلاقات تجارية قديمة ووثيقة. قام علي باشا حاكم الحسا والقطيف في سنة ١٠٤٠هـ (إبريل ١٦٣١م) بإرسال رسالة إلى إمام اليمن، تضمنت الترهيب والترغيب وطلب موادعة سلطان الروم وترك محاربة عماله في اليمن. إن تلك الرسالة الطويلة تحمل توقيع علي بن عبدالله[٧٣]، ولا نعلم هل كان هذا اسمه كاملاً أو أنه يشير إلى أنه من عبيد الله. وقد يكون علي باشا كان مدفوعًا من قبل العثمانيين أو على الأقل لكسب رضاهم حين توسطه في حل الخلاف بينهم وبين الإمام. وهنا نجد

(٧٢) سيد مصطفى سالم، **الفتح العثماني الأول لليمن**، (القاهرة: ط٢، ١٩٧٨م)، ص٣٥٤-٤١١.

(٧٣) يحيى بن الحسين بن القاسم، **الأوضاع السياسية في اليمن مع تحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق أمة الغفور عبدالرحمن علي الأمير (صنعاء: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ص٣٧٦-٣٧٩.

أن إمام اليمن يرد على ذلك بخطاب طويل خلاصته "أن الباعث على محاربة نواب السلطان لما ظهر منهم من الجور والفساد ومخالفة العباد"[٧٤].

على أي حال، تغير المشهد السياسي في المنطقة بعد تولي محمد باشا الحكم في الحسا والقطيف خلفًا لوالده علي باشا، فنجد المؤرخ اليماني المطهر الجرموزي يذكر أنه في سنة تسع وخمسين وألف للهجرة (١٦٤٩م) وصل الشريف عبدالقادر من أشراف مكة، سفيرًا من صاحب الحسا محمد باشا إلى الإمام، إلا أن هذا الشريف توفي في قلعة شهارة القريبة من صنعاء، قبل أن يتمكن من نقل جواب الإمام إلى الباشا المذكور[٧٥]. ومن المحتمل جدًّا أن تكون تلك السفارة بإيعاز من شريف مكة زيد بن محسن وأن لها صلة بالنزاع الذي بدأ بين حسين باشا إفراسياب حاكم البصرة وعميه فتحي بك وأحمد بك الذي أفضى إلى تدخل محمد باشا في ذلك النزاع، كما يحتمل أن يكون له صلة أيضًا باتساع نفوذ الإمام وامتداده إلى جوار الحسا. إذ يذكر المؤرخ الجرموزي أنه في تلك السنة "وصل الشيخ راشد بن درع من أهل الحسا إلى الإمام فعظمه كثيرًا وحمله كتبًا لما يواليه، فصار هذا الشيخ في حكم الداعية إلى الإمام[٧٦]. كما يذكر المؤرخ

(٧٤) المصدر نفسه.

(٧٥) **تحفة الأسماع والأبصار بما في السير المتوكلية من غرائب الأخبار**، ص٩٦٨-٩٦٩.

(٧٦) **تحفة الأسماع**، ص٩٦٩.

اليماني يحيى بن الحسين بن القاسم أنه وصل كتاب من قبائل بلاد الجميلي - البديّع ما بين الحسا والدواسر - سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م يذكرون فيه عدل إمام اليمن وأنهم يودون الدخول في طاعته في السر والعلن وتسليم الزكاة إلى رُسله، إلا أنه لم يتم شيء من الجهتين لخوفهم من ولاة السلطان"[٧٧]. ولعل هذا النص يدلل على وجود ولاة للسلطان من دون أن نعرف من هم وفي أي مكان كانوا، إذ يمكن أن يقصد بذلك أشراف مكة. وهنا لا بد من أن نذكر قول المؤرخ الجرموزي نفسه: "إن الإمام المؤيد باللّه كان يفد إليه من الحسا والقطيف وجهاتها من البصرة وبواديها، حتى لم يبق موضع لم يعلم منه ذكر الإمام إما جملة أو تفصيلاً"[٧٨]. ويشير الجرموزي أيضًا إلى تطور الأحداث فيقول إن الشيخ غنام بن رشود الجميّلي من بلاد البديِّع وهو أميرها وصل سنة ١٠٧٣هـ/١٦٦٢م إلى الإمام وطلب منه أن يبعث معه داعيًا يدعو إليه وأن يكون هو وأهل بلاده ضمن من ينتمي إليه وأن مشايخ الشتور قد بغوا عليهم. هذا ومن الجدير بالإشارة أن أحد المراجع الحديثة تشير إلى أن الشتور كان مقامهم في الأفلاج[٧٩].

(٧٧) **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**.

(٧٨) **تحفة الأسماع**، ص٥٤٧.

(٧٩) **تحفة الأسماع**، ص٩٦٦، وحول الشتور في الأفلاج، راجع: عبداللّه بن عبدالعزيز آل مفلح، **تاريخ الأفلاج**، (الرياض: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص١٦٢-١٦٥؛ أبو طالب، **تاريخ اليمن في عصر الاستقلال من الحكم العثماني**، ص١١٧.

يفهم مما تقدم أن نفوذ أئمة اليمن أخذ في التصاعد في حين ضعفت سلطة حكام الحسا، وهو ما حمل عيسى باشا بن علي باشا - الذي يعد آخر حكام الحسا المستقلين - على أن يرسل الهدايا إلى الإمام أحمد بن الحسن، وربما بعد أن واجه انتفاضة عرب بني خالد ضد حكم أسرته الذين تم طردهم من القطيف والحسا.

خامسًا: صلة الحسا بأشراف مكة

كانت صلة الحسا بأشراف مكة القتاديين[٨٠] وثيقة ومتجذرة مثل صلة هؤلاء الأشراف ببلاد نجد، وخضوع هؤلاء الأشراف للعثمانيين لم يكن قد أضعف تلك الصلة، بل أكسبها شرعية أكثر في المحافظة على الطرق لحماية قوافل الحج والتجارة من شرق الجزيرة العربية عبر نجد، فمسؤوليتها تقع على عاتقهم بشكل رئيس. وهنا نشير إلى أن الحسا كانت من المناطق التجارية المزدهرة فضلاً عن كونها مركزًا ثقافيًّا نشيطًا، جذب إليه الكثير من الأسر والأفراد ذوي المكانة من نجد والحجاز[٨١]. ففي فترة البحث يذكر المؤرخ المكي عبدالملك العصامي "أن الشريف إدريس وابن أخيه الشريف محسن توغلا في الشرق في سنة ١٠٣٢هـ (١٦٢٢-١٦٢٣م) ووصلا قرب الحسا واجتمعا بذوي عبدالمطلب، وكانوا في العام الماضي قد نافروا عمهم الشريف إدريس،

(٨٠) آل قتادة: نسبةً للشريف أبي عزيز قتادة بن إدريس الحسني الذي تولى شرافة مكة سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م وحكم ذريته من بعده. راجع: **سمط النجوم العوالي**، ٦/٢٠٧-٢١٣.

(٨١) راجع في ذلك كتاب: ابن شدقم، **تحفة الأزهار**.

فقام الشريف محسن في موافقتهم لعمهم فتم ذلك وطابت نفوسهم. وقد أكرمهم صاحب الحسا علي باشا غاية الكرم، وطلب منهم الدخول والإقامة عنده فامتنعا واكتفوا بالإقامة خارجها نحو ثمانية أيام، ولم يتفق لأحد من أشراف مكة من القتاديين الوصول إلى الحسا، كما اتفق لهذين الشريفين"[٨٢]. ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الشريف زيد بن محسن قد وصل سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م قريبًا من الخرج[٨٣].

على أي حال، إن امتداد سلطة أشراف مكة إلى مناطق نجد المجاورة لإقليم الحسا أمر لا ريب فيه وبخاصة أن الحاكمين فيها يشتركان في الولاء لسلطان الروم، فضلاً عن مخاوفهم المشتركة من امتداد نفود أئمة اليمن إلى مناطقهم. وينقل المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم عن الشيخ محمد بن حسن الأحسائي الحنفي، من علماء الحسا قوله: "إن بلاد اليمامة جميعًا حنابلة على مذهب أحمد بن حنبل، وكذلك مما يقرب من بلاد الحسا، مثل البديّع وغيرها حنابلة في المذهب إلى حدود الدواسر ... وهذه البلاد ولايتها إلى أشراف مكة"[٨٤].

ويذكر المؤرخ نفسه - أي يحيى بن الحسين - في حوادث ١٠٧١هـ/١٦٦٠م أن الشريف زيد بن محسن اصطلح هو

(٨٢) **سمط النجوم العوالي**، ٤/٤٠١-١٠٢؛ أحمد بن زيني دحلان، **خلاصة الكلام في أُمراء البلد الحرام** (القاهرة: ١٣٠٥هـ)، ص٦٥.

(٨٣) **سمط النجوم العوالي**، ج٤، ص٤٦٤، وحول وفاة الشريف زيد راجع أيضًا ص٤٧٢ من المصدر نفسه.

(٨٤) **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، مصدر سابق، ١/٣٧٠-٣٧١.

والشريف أحمد بن الحارث صاحب اليمامة ونجد بعد أن حدثت بينهما فتنة انقطع فيه حاج العراق الذي كان يجتاز اليمامة[٨٥]. ويذكر عبدالإله بن علي الوزير بمناسبة وفاة الشريف زيد بن محسن أمير مكة سنة ١٠٧٧هـ أنه كان له من السلطان "نيابة الحجاز والمدينة وينبع والصفراء وعنزة وبدر وخيبر، ونجد الأعلى كالطائف وما يتصل به من اليمامة إلى بيشة إلى بلاد البديِّع التي بها الشيخ الجميلي"[٨٦]. أما المؤرخ المعاصر آل مفلح فيذكر أن سكن الأشراف في الأفلاج كان منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلاد وهم: آل حامد وآل شيبان وآل عبدالرحمن بن بشر وجميعهم لا يزالون فيها حتى اليوم[٨٧].

أيًّا كان الأمر فصلة حكام الحسا بأشراف مكة استمرت بصورة وثيقة، فحينما جهز حسين باشا بن علي باشا حاكم البصرة جيشًا ضد الحسا سنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٣-١٦٦٤م ذهب حاكمها محمد باشا إلى مكة واتصل بالشريف زيد الذي عرض أمره على السلطان العثماني فانتهى الأمر أخيرًا إلى عودة محمد باشا إلى منصبه حاكمًا للحسا[٨٨]. في حين نجد في المصادر اليمانية أن الذي طرد حسينًا حاكم البصرة هو

(٨٥) المصدر السابق، ٢/٥٩٣.
(٨٦) الوزير، **تاريخ اليمن المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى**، مصدر سابق، ص١٦٠.
(٨٧) آل مفلح، **تاريخ الأفلاج**، ص١٦٦-١٦٨.
(٨٨) أحمد الغرابي البغدادي، **عيون أخبار الأعيان ممن مضى في سالف العصور والأزمان**، ورقة ٦٢٠ من المخطوط.

عيسى باشا بن علي باشا وهو ما يرجح أن محمد باشا بقي في مكة وأوكل الأمر إلى أخيه عيسى باشا.

على أي حال، فبعد أن سقط حكم أسرة علي باشا البغدادي في القطيف والحسا في أيدي قبيلة بني خالد سارع السلطان العثماني لتدارك الأمر في الحفاظ على هيبته فأصدر مرسومًا سلطانيًّا إلى الشريف أحمد بن زيد يُعلمه بضم ولاية الحسا إلى سلطة إمارة مكة، ويوصيه "ببذل الجهود كما هو الحال في السابق، في كل أمر يتعلق بتلك البلاد"[٨٩]. وبذلك تكون سلطة أشراف مكة قد امتدت إلى الحسا ولو نظريًّا إذ دخلت تلك البلاد في حقبة جديدة من تاريخها.

سادسًا: طبيعة الحكم في ولاية الحسا ورموز الإدارة فيها

ابتداءً لا بد من القول إن التغيير والتبدل الرئيس الذي حدث في ولاية الحسا في أثناء هذه الفترة عن سابقتها هو أنه كان الولاية يتولاها والٍ يُعين من قبل إستانبول ولفترة محددة ما بين سنة إلى ثلاث سنوات، في حين أنها قد أصبح الآن تحكم من قبل علي باشا وتتولى إستانبول مجرد إضفاء الشرعية عليه اضطرارًا وليس خيارًا لفترة غير محددة إذ تتداول أسرته الحكم في الولاية. أما بخصوص رموز الإدارة في الولاية فقد بقيت كالسابق؛ فالقاضي والدفتردار والصوباشي أي مدير الشرطة والشاهبندر - الشابندر - رئيس الميناء والمفتي يزاولون أعمالهم في تسيير أمور

(٨٩) **منشآت محمد رامي**، مخطوط برلين رقم (H. O. 179)، رقم الحكم في الورقة ٥٦.

الإدارة تحت إشراف الوالي الحاكم الأعلى للولاية، فضلاً عن ذلك فإن الرسوم والضرائب بقيت كما كانت في السابق تقريبًا إضافة إلى تقسيم الولاية إلى سناجق أي ألوية ونواحٍ وقصبات وقرى ومزارع.

وهنا نستحضر قول الرحالة الفرنسي فليب (Philippe) الذي زار القطيف والحسا سنة ١٦٣٢م/١٠٤٢هـ حين ذكر "أنها كانت تحكم من قبل باشا يشبه في معيشته أُمراء فرنسا الإقطاعيين إذ إن بلاده غنية جدًّا، ومصدر ثروته الأساس هو اللؤلؤ الذي يستخرج من المياه المحاذية لسواحل بلاده، فضلاً عما يحصل عليه من قوافل الحج والتجارة التي تذهب إلى مكة كل سنة وتعود منها. أما سفن البرتغاليين التجارية فتأتي إلى القطيف مرتين في السنة حاملة منتجات الهند النفيسة من توابل وأقمشة، وتشتري مقابل ذلك الخيول العربية الأصيلة والتمور والسجاد"[٩٠].

على أي حال، فإننا نجد في وثيقة ملحقة بكتاب "تعليقات دل البوكيرك" (The Commintaries of Dalboquer) وليست جزءًا منه فهي تعود لفترة بحثنا، إذ تتضمن الحديث عن سفن البرتغاليين التي ترسو في بندر القطيف حاملة أصنافًا من سلع الهند، وإن التاجر الوحيد الذي يقوم بشرائها هو باشا الحسا ووالداه. أما من يأتي للشراء من غيرهم متنكرًا، فإنه يتم القبض عليه ويسيئون معاملته إذا ما عرف الباشا وولداه بذلك. وإن ما تجلبه السفن من السند وكمبايا

(90) *Voyage D'Orient* (Lyon, 1669), p.80.

(Cambay)[٩١] هي الأقمشة السوداء التي يتم بيعها في سوق القطيف، وفي مقابل ذلك يتم شراء الخيول التي لا يوجد أجمل منها في الشرق كله، إذ إن أفضلها ما يأتي من الحسا، فضلاً عن ذلك فإنه يتم شراء التمور المطبوخة والمجففة التي تعرف بـ "سلوق التي تصدر إلى الهند وبقاع أخرى".

أما إيرادات الباشا المالية الأخرى فهي الرسوم التي تؤخذ من السفن التي تأتي لصيد اللؤلؤ بأعداد كثيرة لقاء حصولها على أوراق المرور - القرطاس -. كما أن اللؤلؤ لا يباع إلا بالعملة الفضية كالـلاري والعباسي[٩٢] حيث تُدر دخلاً يقدر بنحو (١٠٠) كروزادو (Cruzado) من النقود البرتغالية[٩٣]. ويمكن أن يضاف إلى هذه الإيرادات التي تأتي عن طريق التجارة والأنشطة البحرية فهناك الرسوم الاعتيادية على المزروعات والحرف المختلفة فضلاً عن رسوم مرور القوافل.

يظهر مما تقدم أعلاه أن علي باشا البغدادي وأولاده قد امتلكوا ثروة طائلة وسلطة قاهرة، فضلاً عن شرعية الحكم

(٩١) كمبايا: مدينة في غرب الهند تقع على خليج كمبايا في منطقة كجورات والتي تقع حاليًا محاذية لمنطقة البنجاب في باكستان، Hobson- Jobson, Op. Cit., p.150.

(92) *The Commentaries of Great Afonsa Dalboquer*, Vol, 4, Appendix, p.236-37.

(٩٣) كروزادو عملة ذهبية برتغالية قيمتها (٢٠٠) ريال، والريال قطعة فضية برتغالية، وحول العملات البرتغالية المتداولة في الهند والخليج العربي راجع:

j. Gerson da Cunha, *Contributions to the Study of Indo-Portuguese Numismatics* (New Delhi, 1990-1995), p.32-40, 43.

التي أضفاها السلطان العثماني عليهم مقابل الولاء الاسمي الذي يبديه الباشا ويعبر عنه في بعض السنوات بإرسال مبالغ من المال – سليانة أي سنوية، وهدايا إلى السلطان وحاشيته ومن ضمن تلك الهدايا الخيول العربية الأصيلة واللؤلؤ الثمين والعطور الهندية الفاخرة، برفقة أحد أولاده أو كبار رجالاته.

أما النفقات والمصارف التي يتحملها حكام الحسا لحفظ بلادهم وتسيير دولاب الحياة فيها فيأتي على رأسها ما يدفع لحلفائهم البرتغاليين لقاء مساعدة سفنهم التي تحمي سواحل بلادهم وتجارتها، يضاف إلى ذلك قيام الباشا بالصرف على جيشه الخاص وسفنه وبحارتها، إضافة إلى ما كان يستأجره من سفن حلفائه آل مسلّم وزعيمهم كليب بن سلطان ومرشد بن ماجد[٩٤]. وينفق الباشا أيضًا على حماية بلاده من الداخل من خطر بني خالد حيث تحدث الرحالة البرتغالي كودينيو (Codinha) وذكر أن بني جبر – وأخطأ في ذلك إذ إن بني خالد هم القوة السائدة الوحيدة في المنطقة وربما التبس عليه في ذلك – أنها أقوى القبائل في فترة البحث فهي التي تقترب من الأرياف وقت نضوج التمر فيضايقون الفلاحين ليدفعوا لهم مضطرين مبلغًا معينًا من المال، وفضلاً عن ذلك فلم يكونوا يسمحون لقوافل الحج بمواصلة رحلتها دون ابتزازها أو سرقتها[٩٥]. ويظهر أن قافلة الحج الأحسائية كانت محل

(٩٤) راجع وقفية علي باشا على المدرسة التي بناها بجوار بيته في الهفوف في كتاب: الوهيبي، **العثمانيون وشرق جزيرة العرب**، الملحق ٢.

(95) John Corria- Afonao, Intrepid Tinerant, *Manuel Godinho and His Journey from India Portugal in 1663* (Bombay, Oxford Unv Press, 19900), p.81.

اهتمام شديد من قبل السلطة في الحسا للحفاظ عليها إذ كان يتولى قيادتها أحد الشخصيات البارزة. فيذكر ابن ربيعة أنه في عام ١٠٤٣هـ/١٦٣٤م خرجت قافلة كبيرة من الحسا يقودها بكر باشا بن علي باشا(٩٦). ومما هو جدير بالذكر أن قافلة الحج الأحسائية كانت تضطر أحيانًا إلى سلوك طريق البحر انطلاقًا من القطيف نحو سواحل اليمن على البحر الأحمر برغم أخطار تعرضها إلى القرصنة البرتغالية، حينما كانوا يتحكمون في سواحل عمان، إلا أنه بعد طردهم منها من قبل العمانيين أصبح طريق البحر أكثر أمنًا من ذي قبل(٩٧).

وجدير بنا الحديث عن رأس السلطة في ولاية الحسا إبان فترة البحث. إذ هو علي باشا البغدادي الأحسائي الحنفي وهو القائد العام للجيش يساعده في ذلك أولاده الكثيرون، والمرجح أن أكبرهم حسن باشا الذي شارك في الحملة العسكرية لفتح بغداد في عهد السلطان مراد الرابع، إلا أنه اختفى عن المشهد فقد يكون مات بعدها بمدة قصيرة. أما أقرب أولاد علي باشا إليه فهو محمد باشا الذي كان يبعثه أحيانًا إلى إستانبول لحمل الهدايا إلى السلطان وحاشيته. أما أبوبكر فقد كان ورعًا لذلك كان يكلف بقيادة قوافل الحج ورعايتها في حين أن ولده يحيى كان ذا مقدرة إدارية لذا فهو يتولى إدارة لواء القطيف، وأخيرًا ولده عمر

(٩٦) **تاريخ ابن ربيعة**، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل (الرياض: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص٦.

(٩٧) **تاريخ اليمن المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى**، مصدر سابق، ص٨٩-٩٠، ١٠٥-١٠٦.

بك الذي أسندت إليه إدارة بعض الألوية. ويمكن أن نذكر البارزين وهم قاضي الحسا، وقائد الشرطة – صوباشي –، والدفتردار، والمفتي.

وتشير وثيقة مؤرخة في ١٧ من شعبان سنة ١٠٤٤هـ (١٦٣٥م) إلى أن السلطان أمر بتعيين علي باشا قائدًا عامًّا لعموم الأمراء في الوقت الذي تشير تلك الوثيقة إلى نهاية حكمه على الحسا والقطيف، وانتقاله إلى ولده محمد باشا[٩٨]. ويتحدث العصامي والمحبي عن كيفية انتقال السلطة إلى محمد باشا بقولهما: إنه في أحد سفاراته إلى إستانبول كان قد زور كتابًا على لسان والده مفاده أنه قد كبر في السن ويلتمس تعيين ولده محمد واليًا على الحسا في مكانه، فأجيب إلى طلبه وهو ما أدى إلى استياء والده وإثارة غضبه الشديد إضافة لإخوته فغادروا الحسا إلى المدينة حيث مات علي باشا فيها سنة ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م[٩٩]. في حين أن المؤرخ اليماني عبدالإله ذكر سبب انتقال علي باشا من الحسا إلى المدينة أن ولده عيسى وصلته خلعة الباشوية على الحسا من السلطان من دون علم والده وهو ما أغضب الأخير فرحل من الحسا إلى المدينة المنورة حيث توفي فيها سنة ١٠٦٠هـ أو التي تليها[١٠٠]. ومن المثير للاستغراب أن الذي خلف

(٩٨) الأرشيف العثماني، ذيل دفتر المهمة رقم ٩ حكم ٤٦٤ ص١٥٤.

(٩٩) **سمط النجوم العوالي**، ٤/٥٤٧-٥٥؛ محمد المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** (بيروت: ب. ت)، ٤/٤٧٥-٤٧٦.

(١٠٠) **تاريخ اليمن المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى**، ص١٢٢-١٢٣.

والده حسب قول المؤرخ اليماني هو عيسى وليس محمدًا وبذلك يخالف أقوال سابقيه.

وفي ختام ذلك، لا بد من الإشارة إلى أن الحسا كانت مركزً علميًّا بارزًا عبر الحقب والعصور، وكانت جاذبة لكثير من العلماء من جهات عدة. وبالرغم من أن المؤسس للأسرة الحاكمة في الحسا كان حنفي المذهب إلا أن معظم المذاهب الإسلامية كانت تتعايش في البلاد ولها أتباعها الكثيرون. ومن العلماء الذين برزوا في فترة البحث نذكر: محمد بن حسن الأحسائي الحنفي، وولده إبراهيم ويحيى بن الشيخ محمد قاضي الحسا، والشيخ عبدالله بن ناصر المفتي وهو على المذهب الحنفي، كما يرد أخيرًا ذكر محمد بن محمد بن يونس المالكي الأشعري المغربي التونسي، وهذا يدل على أن في الحسا مختلف المذاهب والطوائف والطرق الصوفية. ويبدو واضحًا أن علي باشا كان متسامحًا دينيًّا، وهذا ما أشار إليه ضامن بن شدقم حيث قال: "إن علي بن عبدالنبي بن علي المدني كان سيدًا شريفًا جليل القدر رفيع المنزلة عظيم الشأن، حضر صلاة العيد مع الجماعة فسمع تشنيع الخطيب على الإمامية بالمسجد وهو مملوء من المألوف والمخالف، فانصرف إلى داره وقلبه مملوء نارًا فأرسل علي باشا الحسا يطلبه فامتنع عن الوصول إليه، فلزمه ثانية وثالثة فأجابه بمقالة الخطيب فأمر بضرب عنق الخطيب فالتمس الحاضرون من السيد علي أن يعفو عنه ويشفع له عند الباشا، فشفع"[١٠١].

(١٠١) **تحفة الأزهار**، مصدر سابق، م٢، ق٢، ص٢٩٢.

الخلاصة:

هيأت الأوضاع المضطربة في الدولة العثمانية وفي الحسا أيضًا بعلي البغدادي، أحد قادة طوائف العسكر للسيطرة على ولاية الحسا والقطيف باتفاق أعيان المنطقة واضطرار إستانبول إلى الموافقة على منحه الباشوية. استمر علي باشا البغدادي يحكم الولاية هو وأبناؤه مدة قاربت الستة عقود تحقق خلالها الأمن والازدهار في الولاية بخلاف ما كانت عليه الأوضاع تحت الاحتلال العثماني نتيجة لاتباعه سياسة متوازنة في علاقته مع الكيانات البعيدة بحرًا والمجاورة برًّا. لذا ارتفعت مكانة الولاية وسمعة حكامها إلى حد كبير، لقد أبقى هؤلاء الحكام رموز الإدارة وفق النظام العثماني إلى حد كبير كما كان سابقًا. وإذا كانوا قد نجحوا لفترة طويلة في السيطرة على قبيلة بني خالد ومنعها والحد من مضايقتها للمزارعين وللقوافل فإن حاكم البصرة حسين باشا نجح في كسبهم إلى جانبه لتحقيق أحلامه في التوسع. لذا انقلب بنو خالد على آخر حكام الحسا والقطيف لينتزعوا السلطة منه وليبدأ فيها حكم بنو خالد.

الملاحق

م	الاسم	التاريخ	المصادر
١	محمد باشا (الفاتح)	٩٥٩-٩٦٣هـ/١٥٥٢-١٥٥٦م لقد شارك محمد مع أخيه إلياس باشا في فتح البصرة ولقب بفاتح البصرة، وتولى محمد في حينها أميرًا لأحد ألوية البصرة ثم كلف بفتح الحسا ومن المحتمل أنه توفي فيها	طوبقبوسراي/ حكم مجموعة سي ١١٢-١١٣. دفاتر الرؤوس تصنيف كابجي KK. دفتر المهمة ٢. سيد لقمان زبدة التواريخ أ٧٢
٢	مصطفى باشا بن بيقلي محمد باشا فاتح دياربكر	٩٦٣-٩٦٦هـ/١٥٥٦-١٥٥٩م كان واليًا لطربزون وحين تولى الحسا قام بغزو البحرين حيث توفي فيها	دفتر المهمة ٢، ٣
٣	مراد باشا	٩٦٦-٩٦٨هـ/١٥٥٩-١٥٦١م كان مراد قبلها أميرًا لسنجق (لواء) الموصل	دفتر المهمة ٣

الملحق (١)

ولاة الحسا في فترة الحكم العثماني المباشر

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث، ذو القعدة ١٤٤١هـ/يوليو ٢٠٢٠م، السنة السادسة والأربعون
الدارة

٤	محمد باشا بن فرهاد (فرحات)	٩٧٢-٩٧٣هـ وقد توفي فيها	دفتر المهمة ٥، ٦
٥	فرّوخ باشا	٩٧٣هـ كان أميرًا قبلها لأحد سنجاق البصرة	دفتر المهمة ٥
٦	درويش علي باشا	٩٧٣-٩٧٤هـ	
٧	علي باشا بن الوندبك	٩٧٤-٩٨٠هـ كان قبلها أمير سنجق حماة	دفتر المهمة ٦ ودفتر مالية مدور رقم ٦٣
٨	عثمان بن أزدمور باشا	٩٨٠-٩٨١هـ كان قبلها واليًا للحبشة	دفتر مالية مدور رقم ٥٦٣
٩	سنان باشا	٩٨١-٩٨٢هـ كان أمير لواء الموصل قبلها، وقد توفي في الحسا	دفتر مالية مدور رقم ٢٢، ٢٣
١٠	لياس باشا	٩٨٢-٩٨٤هـ كان أمير لواء القبان في البصرة قبلها	دفتر المهمة ٢٢، ٢٤، دفتر مالية مدور رقم ٥٦٣، سيد لقمان، زبدة التواريخ، ٨٢أ
١١	أحمد بن سكندر باشا	٩٨٤-٩٨٧هـ كان معزولاً عن ولاية الحبشة	دفتر المهمة ٢٨، ٢٩، وزبدة التواريخ، ٩٢أ

١٢	غضنفر باشا	٩٨٧هـ كان واليًا لشهرزور قبلها وتوفي في الحسا	زبدة التواريخ، ٩٩٥أ، دفتر المهمة ٣٩
١٣	حسن باشا بن صالح باشا	٩٨٧هـ	زبدة التواريخ، ٩٥أ
١٤	خليل جلبي	٩٩٠هـ	دفتر المهمة ٤٧، زبدة التواريخ، ٩٧أ
١٥	محمد باشا بن صالح باشا	٩٩٠-٩٩١هـ	زبدة التواريخ، ٩٧أ، دفتر المهمة ٥٢، ٥٣
١٦	أحمد باشا زهرمازاده	٩٩١-٩٩٢هـ	دفتر المهمة ٥٣، دفاتر الرؤوس ٢٩٩
١٧	محمد باشا بن سنان باشا	٩٩٢-٩٩٣هـ كان أمير قرمان في السابق	دفاتر الرؤوس ٢٤٤، دفتر المهمة ٥٣
١٨	أحمد باشا بن حاجي بيك	٩٩٣-٩٩٤هـ	دفتر المهمة ٥٣
١٩	خسرو باشا	٩٩٤هـ والي قرمان السابق	دفاتر الرؤوس ٢٦٢
٢٠	حسين باشا	٩٩٥-٩٩٨هـ كان أمير جرجا في مصر قبلها	تاريخ سلانيكي، ج١، ص٢٠٠
٢١	أحمد باشا	٩٩٨-١٠٠١هـ كان والياً لجلدر قبلها	دفتر ذيل المهمة ٤

٢٢	عبدالباقي	١٠٠١-١٠٠٢هـ يذكر أنه قتل في الأحساء	دفتر المهمة ٧٣
٢٣	خادم عثمان باشا	١٠٠٢-١٠٠٣هـ يذكر أنه نقل من ولاية البصرة إلى الحسا	دفتر المهمة ٧٢، وتاريخ سلانيكي
٢٤	بهرام باشا	١٠١١-١٠١٢هـ	دفتر المهمة ٩٨
٢٥	يوسف باشا	١٠١٢-١٠١٥هـ	دفتر المهمة ٧٩
٢٦	بهرام	١٠١٥-١٠١٧هـ يرد أنه قتل في الحسا	دفاتر الرؤوس ٧٠، ٧٥
٢٧	عمر باشا	١٠١٨هـ لم يبق سوى بضعة أشهر	

(١) علي باشا بن [عبدالله] البغدادي

عمر بك — (٣) عيسى باشا — حسن باشا — (٢) محمد باشا — يحيى — أبوبكر

الملحق (٢)

شجرة الأسرة الحاكمة وتعاقبها في الحكم

BRONNEN TOT DE GESCHIEDENIS

DER

OOSTINDISCHE COMPAGNIE

IN PERZIË

UITGEGEVEN DOOR

H. DUNLOP.

EERSTE DEEL

1611—1638.

'S-GRAVENHAGE
MARTINUS NIJHOFF
1930

RIJK...CHIEF
's-GRAVENHAGE

الملحق (٣)

نماذج من الاصدارات البرتغالية الوثائقية

DOCUMENTOS

REMETIDOS DA ÍNDIA

OU

LIVROS DAS MONÇÕES

PUBLICADOS

DE

ORDEM DA CLASSE DE CIÊNCIAS MORAIS, POLÍTICAS E BELAS-LETRAS

DA

ACADEMIA DAS CIÊNCIAS DE LISBOA

TOMO V

LISBOA
IMPRENSA NACIONAL
MDCCCCXXXV

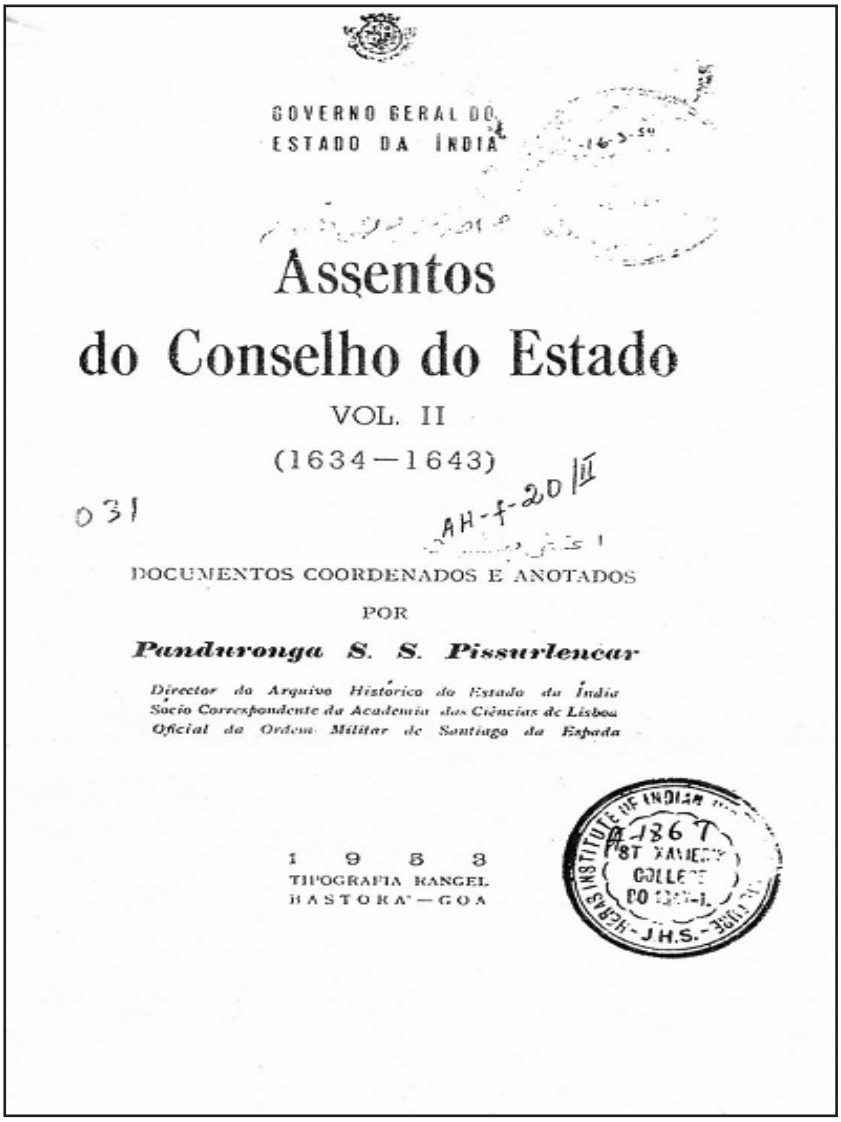

GOVERNO GERAL DO
ESTADO DA ÍNDIA

Assentos
do Conselho do Estado

VOL. II

(1634—1643)

031 AH-f-20 II

DOCUMENTOS COORDENADOS E ANOTADOS

POR

Panduronga S. S. Pissurlencar

Director do Arquivo Histórico do Estado da Índia
Sócio Correspondente da Academia das Ciências de Lisboa
Oficial da Ordem Militar de Santiago da Espada

1 9 5 3
TIPOGRAFIA RANGEL
BASTORA — GOA

A-186 T ST XAVIER'S COLLEGE PO J.H.S.

BIBLIOTHECA DE CLASSICOS PORTUGUEZES

DIRECTOR LITTERARIO — CONSELHEIRO *LUCIANO CORDEIRO*

Proprietario e fundador — MELLO D'AZEVEDO

Em commemoração do 4.º Centenario da descoberta da India

DOIS CAPITÃES DA INDIA

POR

LUCIANO CORDEIRO

(Documentos ineditos entre os quaes diversas certidões authographas de DIOGO DE COUTO)

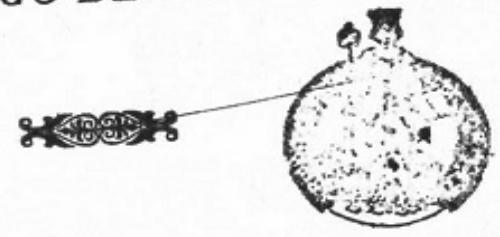

ESCRIPTORIO
147 — RUA DOS RETROZEIROS — 147
LISBOA
1898

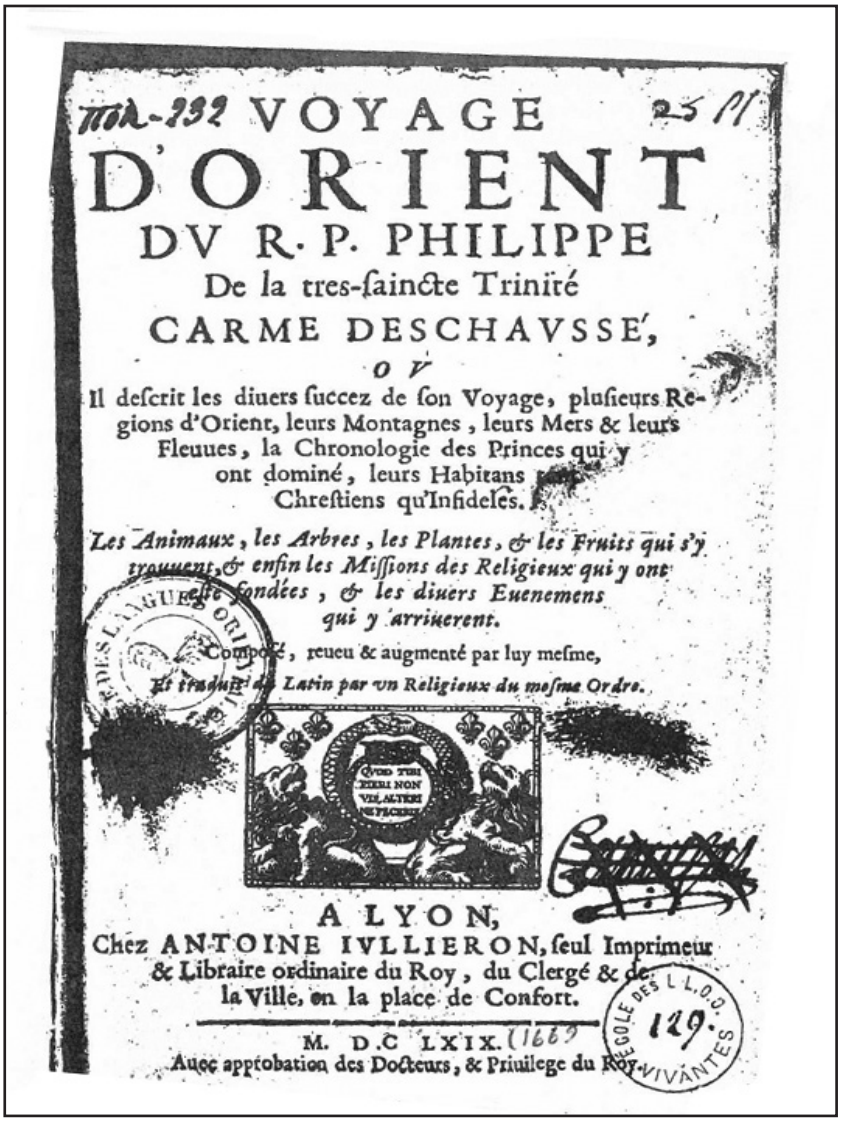

ΠΟΛ-232 VOYAGE

D'ORIENT

DV R. P. PHILIPPE

De la tres-ſaincte Trinité

CARME DESCHAVSSE',

OV

Il deſcrit les diuers ſuccez de ſon Voyage, pluſieurs Regions d'Orient, leurs Montagnes, leurs Mers & leurs Fleuues, la Chronologie des Princes qui y ont dominé, leurs Habitans [illegible] Chreſtiens qu'Infideles.

Les Animaux, les Arbres, les Plantes, & les Fruits qui s'y trouuent, & enfin les Miſſions des Religieux qui y ont eſté fondées, & les diuers Euenemens qui y arriuerent.

Compoſé, reueu & augmenté par luy meſme,

Et traduit du Latin par vn Religieux du meſme Ordre.

F. DES L. LANGUES ORIENTALES

A LYON,

Chez ANTOINE IVLLIERON, ſeul Imprimeur & Libraire ordinaire du Roy, du Clergé & de la Ville, en la place de Confort.

M. D.C LXIX. (1669)

Auec approbation des Docteurs, & Priuilege du Roy.

ECOLE DES L.L.O.C. VIVANTES 129.

الملحق (٤)

حكم إلى والي الحسا محمد باشا

ذيل المهمة (٩) ص ١٥٤ حكم ٤٦٤ في ١٧ شعبان سنة ١٠٤٤

حكم إلى أمير الأمراء وسائر غزاة الإسلام وسردار العساكر علي دام إقباله

كنت من المخلصين في مساعيك المختلفة في خدمة الدولة العليا وإنك من خدامنا المحافظين على حدود وحراسة المملكة ومن المهتمين بمنع وقوع الضرر على الدولة لذا استحققت عواطفنا الدائمة وكامل عنايتنا السلطانية. لذا فقد أمرنا بمنحك خلعة فاخرة وعند وصولها تقوم باستقبالها بما يليق بها من التوقير والاحترام وتقوم بارتدائها وبما جبلت عليه من غيرة وحمية إسلامية ومزية في الشجاعة فائقة وشهامة وبمقتضى ذلك قمت بحفظ وحراسة جميع الجهات الأربعة للولاية. وبعناية الله تعالى قضيت على الأعداء والأشقياء والمتجاوزين على الحدود وعملت على حماية أمن الرعايا والبرايا ووفرت لهم سعادة الحال وهدوء البال وإن سعيك موفور وجهدك جدير بالتقدير. والحاصل فإن صداقتك وشجاعتك وشهامتك مثال يعتمد عليها إلى درجة كاملة وهي دائمًا مرضية وموفقة تلك المساعي موافقة للدولة واعمل منذ الآن أن تبذل الجهد وإن شاء الله لن يكون غافلاً من عواطفنا وإحساننا وأنت تحت عناية سلطاننا دائمًا والتزم بعرض ما يحلو لك بشكل مفصل وإن شاء الله لا نقصر في حقك.

الملحق (٥)

ترجمة الحكم المرسل إلى والي الحسا محمد باشا

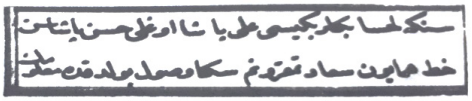

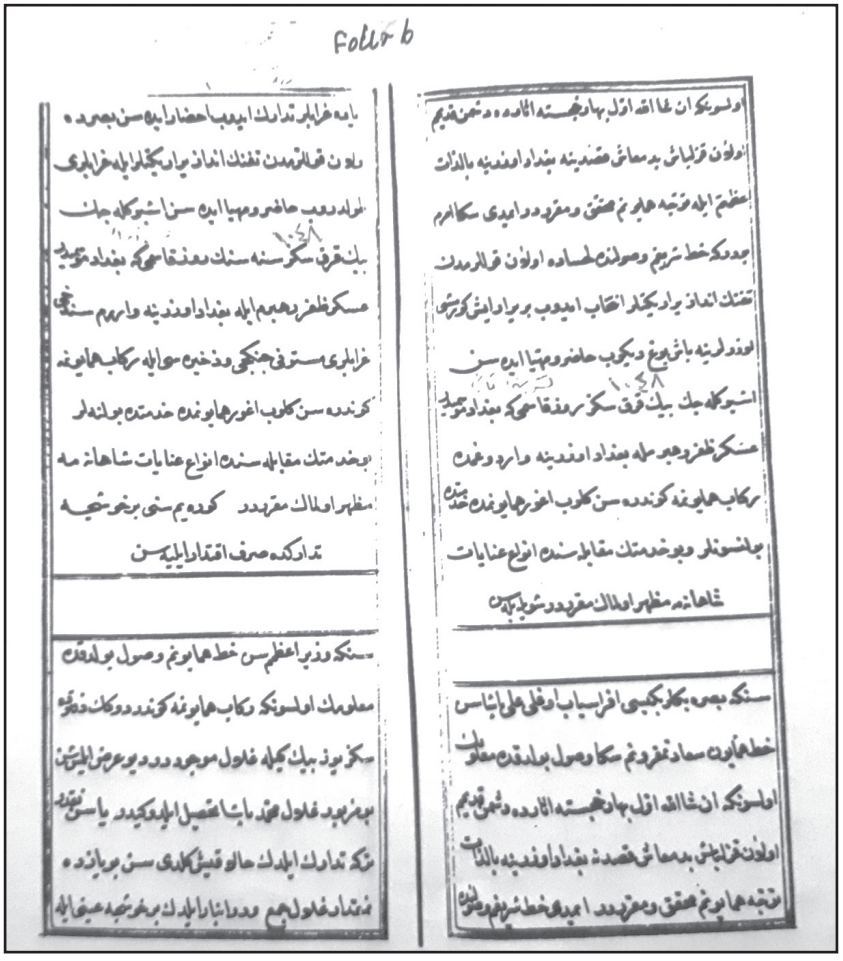

الملحق (٦)

صورة من حكم إلى حسن باشا